

24

روايات مصرية حديثة

الآن .. نرجوكم الصمت

سافاري

www.dvd4arab.com
Hany3H

مقدمة

(سافارى) مصطلح غريب تم تحريفه عن كلمة
(سفرية) عربية .. وحين يتحدثون عن (سافارى)
فهم يتحدثون عن رحلات صيد الوحوش فى أدغال
(إفريقيا) ..

لكن وحدة (سافارى) التى سنقابلها هنا كانت
تصطاد المرض فى القارة السوداء .. ووسط اضطرابات
سياسية لا تنتهى .. وبيئة معادية .. وأهل مشككين ..

بطلنا الذى سنقبله دوماً ، ونألفه ، ونتعلم أن
نحبه هو د. (علام عبد العظيم) .. شاب مصرى
ككل الشباب .. لختار أن يبحث عن ذاته بعيداً وسط
أدغال (الكامبيون) ، وفى بيئة غريبة وأمراض
أغرب وأخطر لا تنتهى فى كل دقيقة ..

وفى هذه الروايات نقرأ منكرات د. (علام) ..

نعيش معه تلك العالم العجيب الذى لم تتجح الحضارة
فى تبديل معالمه ..

سنلقى الكثير من الفيروسات القاتلة .. والسحرة
المجائنين .. وأكلة لحوم البشر .. والمرترقة الذين
لا يمزحون .. وسارقى الأعضاء البشرية .. والعلماء
المخابيل ..

سنلقى كل هذا .. ونلقى محاولات طبيينا الشاب
كى يظل حيًا .. وكى يستطيع فى الوقت ذاته أن يظل
طبيبًا ..

تعالوا تلحق بوحدة (سافارى) فى (الكامبيون) ..
تعالوا ندخل الأدغال ونجوب (السافانا) ونتسلق
البراكين ..

تعالوا نواجه المرض مع فريق (سافارى) ..

1- (كينيا) كالعادة ..

ولماذا لا تمضى الحياة كما كانت ؟

ما زال وجهى فى مكانه بنفس السمات ، وما زالت
(برنات) زوجتى ، وما زالت وحدة (سافارى)
تستقبل الحالات العصية ، وما زالت الملاريا شبيهة
بثعبان نائم طيلة الوقت .. أحيانا ينهض ويدغ وتكون
لدغته قاتلة ، ثم يعود للنوم ..

ما زال (سينوريه) شاعرا حائما ، حتى وإن تم تعيينه
مديرا للوحدة .. وما زال (ستيجوود) فى السجن
وللتحقيقات جارية .. ما زالت آثار الانفجارات هنا وهناك ،
ونكرى تلك الليلة السوداء التى قضيناها جميعا فى
مكتب المدير ..

ما زال كل شىء فى مكانه ..

فلماذا لا تمضى الحياة كما كانت ؟

دعنى أقل لك حقيقة هى أن مكاتنى صارت
رفيعة إلى حد كبير فى (سافارى) .. صحيح أنتى
مصدر متاعب أينما ذهبت .. يكفى أن أظهر فى
مكان ما ، حتى تبدأ المؤامرات والدسائس والموت
والشجار ، لكن هذا يعنى أنتى أصبحت شخصاً
مرموقاً ..

هذا سبب لى بعض المتاعب .. لا أقدر أن أدعى
أنهم يحقدون على .. لا .. لا أجرو على هذا ، لكنهم
بالتأكيد لم يعودوا يكون لى ذات الود الذى عرفته
من قبل .. بعض الابتسامات مفتعلة أو لا وجود لها
على الإطلاق .. أضف لهذا أن عدداً لا بأس به منهم
كان من (حاشية) المدير المنصرم (ستيجوود) ،
وهم يروئنى ذلك الفتى البغيض الذى جاء من
(الكامبيرون) ليدير رئيسهم المحبوب ..

وهكذا اتخذت قرارى الأمثل فى التعامل مع القوم
هنا : لا تتعامل مع القوم هنا .. هذا يبدو مريحاً إلى
حد ما ..

كذا تمضى الحياة بلا جديد ، والحقيقة أثنى بدأت
لتأهب للعودة إلى (الكامبيرون) حيث كل هؤلاء الأوغاد
الأعزاء .. حتى هذه اللحظة لا يوجد ما يوحى بوجود
خطر على من أى نوع .. صحيح أن هناك مجموعة
من عبدة الأقاعي المجانين يعتبروننى كافراً خائناً ،
وهذا حافظ بالطبع كى يقرر أحدهم التقرب إلى الأقاعي
بذبحى ، لكن مادام (بودرجا) حياً يرزق فمن الواضح
أن المدير فى (الكامبيرون) بالغ كثيراً فى رعبه ..

لكن خطتى لم تتوقف عند هذا .. طريق العودة إلى
الكامبيرون سيكون طويلاً نوعاً ، لأثنى سامر على
مصر أولاً .. لا بد من أن ترى أُمى زوجتى وتحبها ..
هذه نقطة مهمة .. لسوف تهيم بها حياً ، وسوف
تجلسان فى الصالة أمام التلفزيون تشربان القهوة
بالهيل (الحبهان) وتثرثران عن كل شىء .. وسوف
تكفان عن الكلام حين أدخل أنا ، مما يدل على أنهما
تحدثان عنى قطعاً ..

هذه أشياء لا بد أن تحدث .. ولا بد أن أراها تحدث ..

طبعًا لم أكن أعرف وقتها أن مغامرة قاسية في
(كليمنجارو) لابد أن تحدث لي قبل أن أظفر بهذا
الترف .. سأرى (كينيا) كما لم يرها أحد .. ويعدها
يحق لي أن أظفر ببعض الراحة .. لكن هذا موضوع
الحكاية القادمة وليس هذه المرة ..

كنت أعقد ربطة عنقي في ذلك الصباح واقفاً أمام
المرآة ، بينما (برنات) كانت بالفعل قد فرغت من
ارتداء المعطف الأبيض ، ولفتت السمع حول
عنقها .. لقد بقي على موعد العمل عشر دقائق لكنها
نشيطه منظمة رائقة البال .. هذا يسهل حين تكون
مستولاً عن نفسك فقط ..

وابتسمت إذ تخيلتها تخوض صراعاً دموياً مع
وحش مربع كابوسي هو طفلنا .. طفلنا الذي قد
يظهر يوماً ما ليجعل حياتنا ملحمة إغريقية ..

قالت لي وهي تمشط خصلات شعرها الأشقر الذي
لا يحتاج إلى تمشيط في الواقع :

- « ما زلت أجد من الصعب ألا يكون (ستيجوود)
مديرًا .. »

قلت لها في غيظ وأنا أضع المعطف على كتفي :

- « هل اشتقت إليه ؟ تبًا للنساء ! »

- « بل هو التعود يا بني .. التعود .. لو أن كوبرا
(رانجهال) اختارت بيتها تحت فراشنا ، فلابد أنك
ستفتقدنا لو صحت يوماً فلم تسمع قحيحها .. »
ثم فكرت قليلاً وأضافت :

- « لماذا يحب الناس المال هذا الحب الجم ؟ »

- « لأنه رائع .. هذا هو كل شيء .. »

ثم بحثت عن المسماع بدوري ولففته حول عنقي
وآردفت :

- « إنه يحل مشاكل كثيرة .. فكرى فى بيت ذى
حديقة فى أهدأ موضع من العالم .. فكرى فى بحر لا يبعد
إلا عشرين متراً .. فكرى فى نزهة فى (ستغافورة)

أو الهند أو البرازيل .. فكرى فى بحث خاص وطائرة رياضية و ... فكرى فى أى شىء غير هذا السجن الذى نعيش فيه .. إبنى بشكل ما أفهم (ستيجوود) حتى لو كان قد بالغ بعض الشىء »
- « وهل كنت ستفعل ما فعله ؟ »

قلت فى لامبالاة وأنا أنظر حولى لأرى إن كنا قد نسبنا شيئاً :

- « حتى هذه اللحظة لم أتعرض لأى إغراء .. ليس أمامى ما يسرق .. وأنا لا أملك الحكم على حراس المرمى الذين لم يتعرضوا لكرة واحدة طيلة المباراة .. لقد تعلمت أن كل إنسان يقضى حياته فى الفخر بأنه لم يقترب ذنباً ، فالحقيقة هى أن نطاق حياته بعيد عن أية فرصة لاقتراف الذنوب .. فإذا أتيت له الفرصة .. حسن .. أنت تعرفين من أين يأتى اللصوص والمختلسون والقتلة ! إنهم من بيننا .! إنهم نحن ! هؤلاء أشخاص وجدوا الفرصة كاملة فأدركوا أنهم أضعف مما تصوروا .. أدركوا أنهم لم يكونوا قط شامخي الأخلاق كما حسبوا .. »

- « أنا لم أتعرض لأي إغراء ، واعتقادي الخاص
لكني سأقاوم وقتها ، وأن تربيتي القويمة ستصمد .. لكن
من يدري ؟ إن الإغراء لمغر بحق .. وعندنا في مصر
نقول (الشيطان شاطر) .. ضعى عشرة رجال ممن
يتشدقون بتبيل الخلق والرفعة في موقف يسمح
بالفساد .. ولكن أحدى لهم أولاً أنه لا خطر عليهم على
الإطلاق .. ما سيفعلون هو سر بينهم وبين ضمائرهم ..
ثم راقبي نتيجة التجربة .. أعتقد أن اثنين من العشرة
لا أكثر سيرهنون بحق على أنهم نبلاء .. »

بدت عليها الحيرة وقالت :

- « أنا أعرف أنني سأصمد .. »

- « وأنا أعرف أنني (سأحاول) أن أصمد .. ومن
يدري ؟ لربما لعبت تربيتي دوراً وقتها .. ثمة مقولة
في مصر معناها (من لم يشبع على مائدة أبيه فلن
يشبع للأبد) .. وأنا شبع على مائدة أبي بالتأكيد ..
لكني أدعوا الله صادقاً ألا يضعني في موقف أتعرض
فيه لإغراء .. »

- « نحن نقول في صلاتنا : لا تدخلنا في تجربة ،
ولكن نجنا من الشرير .. »

هنا لاحظت في رعب أن الوقت قد حان وأنا فقدنا
أو كدنا مزية البكور .. لهذا فتحت الباب وأشرت لها
أن الوقت قد حان .. ليست المناقشات حول الأخلاق
هي أنسب شيء بعد الاستيقاظ من النوم ..

ذهبت هي إلى قسم الأطفال ، بينما اتجهت أنا إلى
مكتب المدير (سينوريه) ، وكانت السكرتيرات
الحسنات متهمكات في العمل . طبعا نقصن واحدة
هي (إيفيلين) .. وكان (سينوريه) من الطراز الذي
لا يريد كل هذا العدد في مكتبه .. إن ما تقوم به أربع
سكرتيرات يمكن أن تؤنيه واحدة مخصصة .. هو بطبعه
لا يحب الاستعراض ولا المظاهر البراقة .. حاول أن
يقلل العدد قلم يفلح أو لم يطاوعه قلبه كي يفعل ..

أما عن السكرتيرات أنفسهن فالمرأة كما تعلم كائن
غريب شديد الغموض .. كان (ستيجوود) يضايقهن
ويتعامل معهن كفتيات جميلات لا كزميلات عمل .. وقد
ضايقهن ذلك كثيرا وأشعرهن بنوع من المهانة ..

فلما جاء (سينوريه) لم ترق لهن على الإطلاق
طريقته المهذبة الرسمية في التعامل .. وشعرن بأنه
- ربما - متعال أو أحمق .. بالإضافة إلى أنه كائن
غريب نازل عصى لا يمكن أن تقارنه بـ (ستيغورد)
الوسيم الأنيق كما يريته ..

هذه من تناقضات الأنثى التى لا يمكن فهمها ..
المفترض أن يكون المدير وقحا ليتيح لهن أن يغضبن
ويتذمرن منه ، ويتحدثن عن (ضيق أفق الرجل الذى
لم يستطع قط أن يعتبر المرأة فردا نشطا في المجتمع
مثله) .. لما لن يتعامل بتهذيب وصرامة فهذه إهانة لهن ..

المهم أنني توجهت إلى المكتب ، وكانت علاقتي
بـ (سينوريه) معروفة من البداية ، لهذا كن يسمح
لى بالدخول على الفور دون مناقشة .. بينما في عهد
سلفه كان على أن أنتظر عشر دقائق على الأقل على
سبيل الإعداد النفسى و (التطهير) ..

سأنتنى السكرتيرة (جين) ضاحكة :

« أنت من مصائب جديدة ؟ »

هزئت رأسي بمعنى أنني لا أذكر ، ثم مدت يدي
فتناولت قدح القهوة الذي أمامها فرشفت منه رشفة
كبيرة وسط عباراتها الاحتجاجية ، وقلت في شيء
من خجل :

- « معذرة .. إن القهوة تريح داء السل الرئوي
الذي أعانيه .. »

ثم تركتها ودخلت إلى المكتب ..

كان (سينوريه) صديقي العزيز العصبى جالساً
يتشاجر في الهاتف .. الحقيقة أنني لم أبتلع بعد فكرة
أنه صار رئيساً للوحدة .. هذا المقعد متسع عليه كما
أتصور .. لكن من ناحية السن والخبرة والمركز
العلمي ، لم يكن هناك إلا رجلان يصلحان للمهمة :
(سينوريه) والفقيد (جون ويلسلي) لو كان حياً ..

جلست دون دعوة ، وكان هناك (ترموس) ملىء
بالقهوة من دون شك ، فمدت يدي وأفرغت لنفسى
بعضها في كوب ورقي كان هناك .. ورحت أشرب وأنا
لتأمل الفرقة التي لم يتغير فيها شيء .. حتى شهادات

(سيتجود) وصورته الجدارية العਲقة . ليس
(سينوريه) من طراز (رمسيس الثانى) الذى يزيل
كل أثر لمن سبقوه .. كلما يزيلهم من التاريخ
ذاته ..

فى النهاية وضع الساعة وراح يهرطم بالفرنسية ،
ثم قال لى :

- « يريدون قتلى بكل هذه الأعباء .. »

هزئت رأسى بمعنى التعطف ، فقال لى وقد تذكر :

- « هل أنت واثق من أنك راغب فى العودة إلى
(سافارى - 4) ؟ »

- « ظننت هذا مفهوماً بآسدى .. إن مصر هى
وطنى الأول .. و(سافارى - 4) هى وطنى الثانى ..
فإن لم أستطع العودة لوطنى الأول كان وطنى البديل
على الأقل .. »

- « فعلنا كل ما يمكن كى نريحك والكتورة
(عبد العظيم) .. »

- « وأنا أعترف بهذا شاكرًا ، لكن الراحة ليست كل شيء .. هناك الألفة .. هناك التعود .. ومهما بلغ جمال المدرسة يشعر الطفل بحاجة ملحة إلى العودة إلى دأره المتواضعة بعد الظهيرة .. »

قال وهو يوقع بعض الأوراق :

- « ليكن .. لكن لابد من أن تعطيني وقتًا .. لابد من أن تستقلم طبييًا جيدًا لحملة (كالا آزار) .. المشكلة هي أنك صرت جزءًا مهمًا من الآلة .. »

.. « هذا يؤكد ماقله الحكماء قديمًا : لاتصر جوهريًا .. لاتكن غصيرًا يستحيل الاستغناء عنه .. »

- « سنحاول الاستغناء عنك ، وإن كان هذا صعبًا .. »

ولم يتكلم أكثر ، لكنني كنت أفهم .. إن منصب المدير يكبله بألف صدد .. لكن هذا الرجل يحبني ويحترمني مثلما أحبه واحترمه بالضبط .. سوف يكون الفراق عسيرًا ، لكنني سأكتب له بانتظام .. ومن يدري ؟ إن أعضاء (سلفاري) أحجار على رقعة شطرنج .. لا يعرف

أحد أبدا أين يوضع الشهر القادم .. ربما يأتي هو
إلى (سافارى - 4) أو أعود أنا لأستقر هنا أبدا ..

كان يقلب الأوراق المترجمة على مكتبه والتي
لا يعرف بالضبط الحل الصواب مع أكثرها . لا بد أنه
الآن يعتبر أن (ستيغود) كان عبقرياً ..

قال لى :

- « هناك انتداب فى (نيروبي) .. وزارة الصحة
تريد أطباء .. »

اعتذلت فى مقعدى وأرہفت السمع :

- « من يريد أطباء ؟ »

نزع عوينات المسافات المقعرة ليتمكن من القراءة
بشكل أفضل ، وأبعد الورقة قليلاً ثم قال :

- « مشروع دراسات لباراسيولوجى .. يبدو أن هناك
رومما فى الموضوع .. »

ثم راح يقرأ بصوت خفيض كأنما يندن ، مما جعلنى
أفوت نصف ما قال :

- « تم تم تم .. فائق الاحترام .. هممم ..
تم تم تم .. تم تم تم .. أشخاص من ذوى
الخلفية الطبية .. تم تم تم .. متطوعون لغرض
ورشة عمل .. تم تم تم .. عواصف دماغ
Brainstorming .. تم تم تم .. بروفيسور (بوريس
سيماكوف) الباحث الرئيسى فى المشروع .. »

- « كم طبيباً يريد ؟ »

عاد يقرأ الورقة من جديد مما دلى على أن
تركيزه ضعيف :

- « مممم .. اثنان .. »

لم أنتظر حتى أفهم .. فقط جلست على طرف
مقعدى حتى صرت أقرب إلى الوقوف وصحت :

- « لماذا لا ترسلنى و (برتانت) ياسيدى ؟ أنا فى
حاجة جمة للتغيير .. »

نظر لى مفكراً بعض الوقت ، ثم قال :

- « أرسلك أنت ؟ »

- « و (برنالت) .. »

- « و (برنالت) ؟ »

قلو كنت أهل تهنيتاً لقلت له إنه لا يتقاضى راتباً
كى يجلس هنا ويريد ما أقول .. بعد صمت طال قال :

- « دعنى أفكر فى الأمر .. »

نهضت وأنا على وشك أن اجثو على ركبتي
متوسلاً :

- « د. (سينوريه) .. لو كان عليك أن ترسل أحداً
فلبتى أتوسل إليك أن أكون هذا الواحد .. لاحظ أنتى
لم أر (نيرويه) تقريباً .. »

- « سأرى ما يمكن عمله .. »

وغرقى فى مزيد من الأرواق قرأت أنه من الوقاحة
أن أكرر إلحاحى .

2- في ثيروبي ..

كنت مشكلتي مع إفريقيا من البداية هي أنني ظلت دوماً نائياً عن العواصم والمدن الكبرى .. دوماً أنا في بلدان صغيرة بعيدة .. أقرب إلى قري ، لهذا اكتسبت طباع القروي الساذج الذي يبهره بريق المدينة ، والذي لا يصدق أن هناك مباني شاهقة وطرقاً نظيفة وسيارات وطائرات .

إن (ثيروبي) عاصمة ضخمة تحبس الأنفاس .. ويمكنك بسهولة أن تعتقد أنك في (لوس أنجلوس) أو (ميونيخ) لولا أن من يحيطون بك سمر البشرة ..

كنت و (برنات) نقطع الشوارع مذعورين .. نتعثر في خطواتنا من كل هذا الضجيج وإيقاع الحياة السريع .. بعد أشهر من الحياة في مكان مطلق لا ترى من نوافذه إلا الأدغال وقري (الكيكويو) ، تغدو الحياة في مدينة مشكلة حقيقية ..

طبعاً من الواضح لك الآن أن المدير قبل إرسالنا
في تلك المهمة العلمية ، وقد احتاج إلى أسبوع كي
يحزم أمره لكن العبرة بالنهايات كما ترى ..

إن (نيروبي) هي عاصمة البلاد ، وقد أنشأها
البريطانيون عام 1890 كمحطة ربط على خط القطار
الشهير (مومباسا - أوغندا) .. و(مومباسا) لمن
لا يعرف هي أهم ميناء في البلاد ..

أقيمت (نيروبي) فوق أراض رعوية كان الماساي
يعيشون فيها .. وقد صارت عاصمة البلاد الرسمية
عام 1963 ، وإن عانت من اضطرابات مختلفة وحروب
أهلية في تسعينات القرن العشرين ، بسبب ارتفاع نفعة
المعارضة ضد الرئيس الكيني (دانيل موي) .. في
الحقيقة أين هي الدولة الإفريقية التي لا تعيش تلك
الاضطرابات منذ الاستقلال في الستينات ؟ أو كما يقول
الأمريكيون : أليسوا كذلك جميعاً ؟

من الناحية الجغرافية البحتة ، هي مدينة مرتفعة ..
ربما نحو ألفي متر فوق سطح البحر ، لذا تعد من المدن

الباردة فعلاً .. وهو درس قاس لواحد مثلى يعتبر أن
زيارة أى بلد إفريقي تعنى أن يحمل معه قميصين
قصيرى الأكمام لا أكثر ..

سبق لى أن قلت إنها أقيمت فى أعجب مكان يمكن
أن توجد به مدينة .. إنها ترتفع عن مستوى البحر
كثيراً ، لكنها فى موضع منخفض بالنسبة للهضاب
المحيطة بها ، وبالتالي هى معرضة لسيول المطر
التي تنصب عليها فى موسمى الأمطار .. أى فى
صيف مصر وخريف مصر ! ويقال إن هذا كله بسبب
حماقة مهندسين أخطأ فى حساباته وهو يضع أساس
هذه المدينة ..

لسوف تلاحظ أن النشاط الأساسى للمدينة كلها هو
السياحة .. السياحة نشطة جداً فى (نيروبي) ، وفى
كل موضع تجد مكاتب تنظيم رحلات (السافارى) ..
لكن (السافارى) ، لم يعد يعنى صيد الوحوش ولكن
مشاهدتها وتصويرها ..

ولا غرابة فى هذا ، لأن (نيروبي) بها أعظم محمية

طبيعية للحيوانات .. حيث يمكنك أن ترى وحوش الغاب تمارس حياتها بحرية تامة .. سوف تجد كذلك المتحف القومي وهو محترم برغم صغره .. وتجد مكتبة (ماكملان) التذكارية وقاعة الكونسرفتوار ..

على أنني و(برنات) لم نر هذا كله ، لأننا قضينا ليلتنا مرهقين في غرفة تم حجزها مسبقاً في أحد فنادق المدينة .. كان فندقاً فاخراً على كل حال ..

في الصباح كان علينا أن نذهب إلى الجامعة كي نقابل البروفسور (بوريس سيمكوف) .. هذا هو الاسم الوحيد الذي نملكه .. والحقيقة أنني حتى تلك اللحظة لم ألقهم قط ما إذا كنا متطوعين للدراسة ما ، أم مشاركين فيها ، لكنني فقط كنت أعرف أن أمامنا عشرة أيام على الأقل لا نرى فيها ذات الوجوه ونمشي في ذات المواضع ..

كانت (برنات) منزعشة ، وشعرت كأنها طفل صمم على أن يستمتع بما يقوم به ..

سألته في لحظة صفاء ونحن نمشي في الشارع
المزدحم :

« هل أنت راضية عني ؟ »

ابتسمت ولم تقل شيئاً .. فعدت أسألها :

« راضية ؟ »

لم ترد .. ثم بعد دقيقة صمت قالت :

« لماذا تفسده بالكلام عنه ؟ هناك أشياء تبدل

قيمتها بتحويلها إلى كلمات .. ولكن أين ذهبت تلك
الجامعة ؟ »

الحقيقة أنه كان سؤالاً سخيلاً لأننا كنا واقفين
أمامها بالضبط ..

كان مكتب الدكتور (ويليام سويلا) صغيراً ضيقاً لكنه
مريح .. وقد أحسن استقبلنا ، ثم جلس إلى أحد المقاعد
أمام المكتب لا خلفه كي يشعرنا بالألفة .. كان رجلاً

ممتلئاً شديد السواد أقرب إلى القصر ، وله ابتسامة
أسرة كابتسامات الأطفال .. خاصة أنها تبدو كثقب
أبيض يتسع في وجهه الأسود ..

قال لنا بينما هو يخرج من ثلاجة صغيرة بعض
علب المياه الغازية :

- « جئتما مسافة لا بأس بها .. لكنى أعتقد أنكما
متحيان للمناخ هنا .. »

قلت له وأنا أنظر لـ (برنسات) لأرى إن كنت قد
أخطأت في شيء :

- « في الحقيقة ياسيدى ما زلت عاجزاً عن
الفهم .. هل نحن ساتحان أم ضيفان هنا ؟ هل نحن
منتدبان للمساهمة في البحث العلمى أم لإجراء تجارب
علينا ؟ »

ثم ابتسمت وقلت في كياسة :

- « والسؤال الأهم هو .. من أنت ؟ لقد جئنا هنا
لأننا سألنا عن الدكتور (بوريس سيماكوف) .. »



قال لنا بينما هو يخرج من ثلاثة صفيحة بعض طلب المياه
الغازية . - اجتمعا سافة لا بأس بها .

ضحك كثيرًا ، ثم قال :

- « هذا سؤال من حقك .. أنا رئيس قسم علم النفس هنا .. أنا لست طبيبًا لكنى باحث فى أسرار النفس .. والبروفسور (سيمكوف) ضيف عزيز علينا ، لكنه ليس صاحب البيت .. إنه يدير المشروع بينما أنا المتسوق الكينى لكل شيء .. »

- « لم أعرف جواب الشق الأول من أسئلتى .. »

- « هل أنتما متطوعان أم باحثان أم ضيفان ؟ الحقيقة هى أنكما خليط من هذا كله .. »

ووضع ساقًا على ساق وقال :

- « أحب أن تفكرا فى الأمر باعتبارہ لعبة أطفال مسلية ، تلعبانها بضعة أيام ثم تعودان إلى بيتكما مع الشكر .. »

هنا تكلمت (برنات) لأول مرة .. وكان سؤالها نكيًا كالعادة .. (برنات) لا تسأل أسئلة غبية إلا فيما يتعلق بمكان الجامعة :

- « من الغريب أننا أجنبيان عن (كينيا) .. فهل
هذا شرط مهم للعمل ؟ »

- « إلى حد ما .. لكن هذا الطراز من الأسئلة
يوجه له لآلى »

- « هل هناك آخرون ؟ »

- « حوالى عشرة .. كلهم - كما لاحظت أنت - من
جنسيات غربية مختلفة .. لدينا فرنسيون وألمان وإيطالي
 وأمريكي .. الآن أضفنا مصر وكندا إلى القائمة .. »

هنا دق جرس الهاتف فرفع السماعه وأنصت
باهتمام ، ثم قال لمحدثه :

- « ليكن .. نحن قادمون .. »

ثم نظر لنا وابتسم :

- « أرى أن تفرغوا من الشرب سريعاً ، لأن البروفيسور
(سيماكوف) ينتظركما .. »

★ ★ ★

لم يكن معمل دراسات (الباراسيكولوجي) مبهرًا
بشكل خاص .. ليس هناك هنود مَعْن يمارسون
اليوجا ولا توجد مقاعد تتحرك لو خطر هذا ببالك ..

إن علم (الباراسيكولوجي) - أو (ما وراء علم
النفس) - هو علم يتعلق بدراسة الحواس التي تملكها
ولا نعرف أننا نملكها .. وهي حواس غير تلك الخمس
المعروفة لنا .. خذ عندك الحاسة السادسة والسابعة
والثامنة .. إلى ما شاء الله ..

هي حواس يقال إنها كانت عندنا جميعًا ثم تفرضت
بفعل التمدين .. كما جعلت أضواء المدينة المبهرة
من المستحيل عليك أن ترى النجوم كما كان يراها
أجدادنا .. ترى منذ متى نظرت للشمل ورأيت وعاء الذهب
الأكبر واضحًا صافيًا ؟ لا بد أن هذا كان من قرون ..

يطلقون على علم دراسة تلك الحواس اسم
(باراسيكولوجي) .. هواة التحديق منا يعرفون أن
(بارا) بادئة يونانية معناها (جوار أو وراء) ..
و (سايكولوجي) هو علم النفس طبعًا ..

وكعادة الأمريكيين في تدليل كل شيء واختصاره ،
يتحول اسم (باراسيكولوجي) إلى Psi .. وأحياناً يطلقون
عليه اسم ESP أي (الإدراك الغائى للحواس) ..

هذه علوم - فيما أراه - لا تشل من الصحة والأهمية ..
لماذا يدق الهاتف حين تفكر في صديقك ويتضح أنه
هو ؟ لماذا تختنق الأم وتتقبض حين يجرح ابنها في
ميدان الحرب ؟ لماذا تشعر بالهجوم على ظهرك من
قبل أن يحدث ؟

هذا ما أعرفه عن الموضوع ، وعلى كل حال لم
أكن يوماً من المهتمين بهذه الأمور ، وأشعر بأنه علم
غير قابل للقياس والتكرار والتفسير ، لهذا أتجاهله
كلياً .. لكنى أعرف أن السوفييت اهتموا به كثيراً ،
ولهذا من الطبيعى أن نجد هنا طبيباً روسياً - لم يعد
سوفييتياً طبعاً - يهتم بالأمر ..

ولكن ما قصته وماذا اختار (كيتيا) بالذات ؟

هذا ما سأعرفه بعد قليل ..

كما قلت لك كان المختبر مخبئاً للأمال .. بل هو
أقرب إلى مختبر الكيمياء الحيوية للعقيق في كليتي ..
هناك قفصان فيهما بعض الفئران (لابد أن هذا
مصدر الراحة) .. وقفص أكبر فيه كلب تعس ..
وثمة مجموعة من الأجهزة للعقيقة التي تذكرك بأجهزة
رسم القلب أو - إن كنت تهوى الأفلام الأمريكية -
جهاز كشف الكذب ..

أما عن البروفسور (بوريس سيمكوف) فهو الذي
يقف وسط هؤلاء الخمسة .. إن له مزية مهمة جداً
هي أنه لا يمتاز بأي شيء على الإطلاق .. ليس وسيمًا
وليس قبيحًا .. ليس أنه علفًا وليس دقيقًا .. ليس
ضخمًا ولا ضئيل الحجم .. نظراته غير ثاقبة لكنها
كذلك ليست خافية .. هل هو أبيض ؟ لا أعرف .. مجرد
سترة رمادية مفتوحة من تحتها كنزة سوداء عالية
الرقبة .. وجهه حليق تمامًا وبلا عيونات .. حتى
لون عينيه كارثة لأنها مزيج من الأزرق والرمادي
والأخضر والذهبي والأسود .. الخلاصة أنه كان مشكلة
حقيقية لرسم الشرطة الذي سيحاول تكوين صورته

من أقوال الشهود ، بعد ارتكاب (سيماكوف) جريمة قتل ..

أضف لهذا أن ذلك الشعور غير مريح على الإطلاق .. أنا تعاملت مع أخط أنواع البشر لكنى أجد التعامل معهم أكثر راحة من التعامل مع هذا الإنسان الأميبا الذى لا شكل له ..

كنت تقف جواره فتاة لا بأس بجمالها ، لكنها تحمل طابعا عمليا (سوفييتيا) خشنا إلى حد ما .. وأنبأتني أسناتها وتجاعيد وجهها أنها مفرطة فى التدخين ..

- « (كلتيا شلوندروف) .. مترجمة من (موسكو) .. »

قالتها بالفرنسية وصافحتنى بيد خشنة قوية أشعرتنى بأتنى فتاة رقيقة هشة .. ثم صافحت (برنادت) بقوة أكبر ، ونظرت إلى البروفسور الكبير الذى رسم على وجهه ما يشبه ابتسامة ، وقال أشياء على غرار :

- « زدراست فوى تى .. تافاريش .. خاراشو ..

الخ .. الخ .. »

قالت لنا تلك الطريقة الرسمية الجافة كأنها في
الأمم المتحدة :

- « بروفيسور (سيماكوف) يرحب بكم في هذا
المصل الصغير ويتمنى لكم أن تستمتعوا بهذه الفترة
الوجيزة التي ستمضونها معنا .. »

قلت (برنات) وهي تفك أصابع كفها التي التصقت
ببعضها بعد المصافحة :

- « تشرفنا .. لكني كنت أفضل لو بدأنا الكلام بدلاً
من الرسمية .. »

بدأت الفأنة تقدم لنا مجموعة الواقفين .. طبعاً
حين انتهت لم تكن تذكر اسماً واحداً .. فقط فهمنا أن
هؤلاء هم زملاؤنا في التجربة وهم من جنسيات
متعددة ..

- « مجموعة من الأشخاص لهم عدد من الوجوه
والأسماء .. هكذا قلت لأنفسى .. ووجدت أن هذه
النتيجة كافية جداً وتلخص كل شيء .. »

لكن ما زالت هناك عدة أسئلة أشعر بأن الحياة
ستكون أكثر إشراقًا لو عرفت إجاباتها :

1- لماذا كينيا بالذات ؟

2- لماذا غير الكينيين بالذات ؟

3- ما هذا الذي سنقوم به ؟

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

3- هؤلاء الرجال العظام وتجاريتهم الغامضة ..

هذا العنوان مقتبس من فيلم اجنبى بالغ الشهرة ، ولا يعنى بحال انى اعتبر هؤلاء القوم عظاما .. ربما أعرف هذا فيما بعد ، أما اليوم فانا فضولى لا أكثر ..

كنا جالسين الآن إلى منضدة صغيرة فى المعمل على شكل حلقة تصفى إلى ذلك الروسى ، وهو يكلمنا عن طريق المترجمة .. وقد بدا لى واضحا أن الآخرين لم يسبقونا بمسافة طويلة .. إذن لم يفتنا شىء تقريبا ..

قال لنا وسط حلقات الدخان التى تبعثرها لفاقة تبغ المترجمة التى فهمت أنها لا تفارق شفيتها :

- « أنا أستاذ علم نفس زائر هنا فى (كينيا) ولى جدولى للتدريس الخاص ، لكنى جعلت معى اهتماماتى الخاصة من (موسكو) .. لا أحاول أن أدعى المجد أو الشهرة ، لكنى من علماء الباراسيكولوجى المهمين فى وطنى .. وأنتم تعرفون التجارب الجادة الصارمة

التي تم إجراؤها عندما على تحريك الأجسام عن بعد
(سايكوكينيزيس) والتخاطر (تليثاى) .. أياك الحرب
الباردة قيل إن الاتحاد السوفيتى يملك كتيبة من
قارئ الأفكار بعشرهم فى الولايات المتحدة وأوروبا
الغربية .. حسن .. لن أعلق على هذا .. لكنى كنت
قريباً جداً من هذا المشروع ..»

.. « بعد انهيار الاتحاد السوفيتى تدهورت حالة السلك
الجامعى المالية ، وشعرت بأن على أن أجرب حظى فى
بلدان أخرى تحتاج إلى علمى ويمكنها أن تنفع جيداً ..
وهكذا استقر بى الحال فى جامعة (نيروبي) ، وبرغم
الصعوبات اللغوية الجمة فإتنى استطعت أن أنجح
وأن يكون لى تلاميذ متفوقون ..»

للمرة الأولى نطقت (برنات) :

.. « هل تلقى محاضراتك مع الترجمة ؟ »

نقلت له المترجمة هذا السؤال فقال :

.. « لا .. إن لطفى الإنجليزية سيئة جداً لكنها مفهومة ..

أنا الآن أستعمل الروسية من أجل مزيد من اللغة
الطليقة التي تعبر عن أفكارى أكثر»

ثم عاد إلى الموضوع :

- « قمت للمرة الأولى بإشياء مختبر للباراسيكولوجى ،
وهو نشاط غير مألوف فى هذا الموضوع من
العالم .. لكن نظريتى كانت هى أن الإدراك الفائق
للحواس أكثر تطوراً لدى الأجناس البدائية من
البشر .. أو بعبارة أخرى لنقل إن صدى الحضارة لم
يفط تلك الحواس بعد .. إن القط يشعر بدنو الزلازل
وبالحرائق ، ربما لأن الحضارة لم تطغ على حواسه
المرهفة .. ورهاتى كان على أن الإنسان البدائى
يملك هذه القدرات مثل القط بالضبط .. وقد وقع
اختيارى على قبائل الكيكويو التى - برغم أنها ليست
بدائية تماماً - تعطى فكرة لا بأس بها عن الإنسان
البكر الذى لم يفسد حواسه التلفزيون والكتب وعادم
السيارات .. »

- « لم يكن الأمر سهلاً لكنى حصلت على نتائج

مهمة جداً .. هنا تبقى مشكلة العلم التقليدية .. لا يمكن أن أقول إن (إيفان) قصير القامة أو طويلها ما لم تكن عندي فكرة واضحة عن القامة المعتدلة .. أننا بحاجة إلى مجموعة قياسية من البشر المعاصرين .. البشر الذين تعلموا وذهبوا إلى المدرسة وعرفوا الكاميرا والسينما وقادوا السيارات وقرعوا الصحف .. هنا خطر لى أن أسنقدم مجموعة من الأطباء من جنسيات مختلفة لكنهم ليسوا من الأهالى هنا .. يمكن القول إن الطبيب هو النموذج الأفضل للحضارة المعاصرة التى حجت النجوم عن أعيننا .. تشاورت مع وزارة الصحة وقد سمحوا لى باستضافة بعضكم ، واعتقد أن أحدكم لم يأت هنا إلا بكامل إرادته الحرة .. »

- « بكامل إرادته الحرة » .. هذا هو أسلوب مصاصى الدماء .. يقال إنهم لا يمتصون إلا دماء من جاءوا على أقدامهم بكامل إرادتهم الحرة ، وهم يحبون دوماً أن يتأكدوا من هذه النقطة .. طبقاً - فى القصص - يلعبون شتى أنواع الحيل لى تلتئيم الضحية بإراداتها .. أو ما تحسبه إراداتها ..

قالت (برنات) باسمه :

- « إذن نحن هنا لأن الحضارة أفسدتنا وأتلفت
حواسنا .. »

- « بالضبط .. هذا هو ما أعنيه .. »

- « وما المطلوب منا بالضبط ؟ »

- « هذا هو موضوع التجارب التي تبدوها حالياً .. »

- « حقاً يا إخواني كان الأمر أقرب إلى لعبة .. وقد
بدا أن الجميع مستمتعون بوقتهم .. وتصاعقت ضحكك
لا توحى على الإطلاق بأن هذا معمل .. »

بالتأكيد يحق للناس أن ينظروا إلى هذه الأبحاث
بشيء من الشك في جديتها ..

قال لنا البروفسور عن طريق مترجمته :

- « إن حاسة الـ Psychometry أو (القياس النفسي)
هي موضوع أبحاثنا .. وهي حاسة محترمة ويستخدمها

رجال الشرطة كثيرا جدًا .. وأكثر الدراسات تقدر
أنها موجودة بالفعل لدى سبعة أشخاص من كل
عشرة .. سميت بهذا الاسم لأن الطبييين (يوكاتان)
(دنتون) قالوا إنها الحاسة التي تعطيك القدرة على
قياس الوجود النفسى للأشياء الجامدة .. هذه الحاسة
تتعلق بقدرتك على استخلاص معلومات عن جسم
مادى بمجرد لمسه .. لو كان من الصحيح أن لنا
هالات إكتوبلازمية ، فإن بوسعنا أن نترك أجزاء من
ذواتنا على ما نلمسه .. وموهبة (السايكومتري)
تتعلق بقدرتنا على معرفة هذه الأجزاء .. يقال إن
الأجسام المعدنية تتمتع بكفاءة خاصة فى الاحتفاظ
بمعلومات عن يلمسها^(*) .. »

ثم رفع يده وأمر مترجمته بأن تخفض الإضاءة
فى القاعة إلى أقصى حد لها ، وقال بصوت رتيب :
- « الآن .. نرجوكم الصمت .. »

(*) طبقا كل المعلومات والتعارين الواردة فى هذا الكتاب حقيقية ..

الخطوة الأولى هي التنفس باسترخاء .. لا أعرف أهمية التنفس في هذه التجارب لكنها جميعًا تصر عليه .. والتنفس باسترخاء يعني أن تأخذ نفسًا بالأنف وتحبسه لثوان ، ثم تخرجه من الفم ببطء ..

بعد هذا وضع في يد كل من الجالسين جسمًا معدنيًا (قلمًا أو مفتاحًا) وقال :

« أفكرح أن تضعوا الشيء في اليد اليسرى ، لأن الطاقة تدخل الجسم من الناحية اليسرى وتغادره من الناحية اليمينية »

ثم طلب منا أن نتحلى بالصبر ولا نفقد هدوئنا .. على كل منا أن يحاول تحرير عقله وأن يستحضر ما يراه في ذهنه .. سوف تتشكل صورة وعلى كل منا أن يصف هذه الصورة في مفكرة صغيرة ..

ومر الوقت ببطء ، وبدأ البعض يدونون ما رأوه ..

ماذا أراه ؟ لا شيء .. شعرت بخجل من نفسي كأنتى في امتحان الثانوية العامة أجلس بلا عمل ، بينما كل من حولي يكتبون بلا انقطاع ..

بدأت أرسم بعض الخطوط على المفكرة ، ثم وجدت
أن هذه الخطوط توحي بشكل معين .. يبدو أن الحيلة
ناجحة .. بدأت أوصل الخطوط في حلقة .. وفي النهاية
وجدت نفسي أحرق في صورة لا بأس بها لخنزير !

مرت ساعة كاملة ، ثم نهض (سيماكوف) وراح
يجمع الأوراق والأجسام المعدنية من أيدينا :

- « لا بأس .. ممتاز .. لا بأس .. سيئ .. »

بهذه العبارات راح يصحح لنا أوراق الامتحان بشكل
سريع .. وظفرت (برنات) بـ (ممتاز) فالتفتت لى
وكورت أنفها بطريقة (التشنج) الشهيرة كأنما هى
طفل تال أعلى درجة فى الإملاء ..

وصل للرجل لى فتناول الورقة ونظر إلى ما عليها ..
ثم تقلص وجهه فى شمنزلز وغيط وواصل الجولة ..
هنا تذكرت .. إنه هو على الأرجح أكثر من لمس للمفتاح
الذى كان فى يدي ، ويلتالى ليس من الإلهام الموفق أن
أرى خنزيراً فى عقلى الباطن كلما لمست هذا للمفتاح !

فى النهاية وقف أمامنا وقال عبر المترجمة :

- « هذه هى تمارين اليوم الأول .. بعضكم يملك
إحاسة لاشك فيها .. وبعضكم لا يملكها على الإطلاق .. »
- وهنا نظر لى نظرة لا تخفى على أحد - « علينا أن
نتذكر أن الروى التى رأيناها قد لا تكون بهذا
الوضوح .. قد لانفهمها الآن .. وقد لانفهمها للأبد ..
لكنها العلامة الأولى على أن حواسنا تنفض عنها
الصدأ .. سنواصل العمل ولن نيتس .. أراكم غدا فى
التاسعة صباحا فى نفس المكان .. »

بعد انتهاء التجربة وثبت (برنات) كطفل مرح ،
وهتفت :

- « هل رأيت ؟ إن عملنا هنا سيكون نزهة ! كان
هذا هو كل المطلوب منا اليوم !! إتنى أهيم حبا بهذه
التجارب التى لامعنى لها ! »

- « وماذا رأيت فى غيبوبة (الترايس) التى مررت
بها ؟ »

ضحكت وقالت بلهجة تمثيلية :

- « رأيت امرأة .. رأيت امرأة عجوزًا كأنما جاءت
من الأبدية .. وكانت لها ثلاث أسنان ناقصة .. »

- « وكتبت هذا ؟ »

- « وصفت المرأة بالتفصيل كأنما أراها .. لا بد
أن هذا المفتاح الذى كان معى كان يخص خالة
(سيماكوف) العجوز .. ربما كانت تغلق به المطبخ
كى لا يسرق المربى ! »

ثم تركتني ولحقت بالواقفين كى تتبادل معهم
الأحاديث المرححة ..

ولمكت من الأحاديث أن هناك تلاميذ فلسلين كثيرين ،
لكنى العبقرى الأوحى الذى رسم خنزيرًا ، سيمر وقت
طويل إلى أن يتوصل علم (الباراسيكولوجى) إلى أن
يلهمنى ..

4 - الآن نرجوكم الصمت ..

في الصباح التقينا وتبادلنا الابتسامات .. كان هناك نوع من المودة قد سرى بيننا .. كان الموجودين أطباء لكنهم ليسوا من (ساقاري) .. أكثرهم يعملون في (كينيا) مع جهات حكومية أخرى ..

وقال لي الطبيب الأمريكي الوحيد بينهم :

- « هل رأيتم (نيروبي) جيداً ؟ »

قلت له :

- « ليس بعد .. كنا نظن أننا سنكون منهمكين .. لكنني الآن بدأت أعتقد أن لدينا من الوقت ما يسمح بدراسة كل حجر .. »

ضحك .. وبدأ لي شخصاً ودوداً .. كنت أومن دوماً أن كل أمريكي شخص لطيف طلق بسيط حين تتعامل

معه وحده .. لكن حين يجتمع أكثر من شخص
لتتكون منهم (دولة أمريكية) فإن الأمور تختلف ..

دخل البروفسور مع مترجمته ليقول لنا :

« داو بروي أوترا »

ثم بدأ يشرح لنا أن درس اليوم يتعلق بملكة
النبات ..

« سأعطي كلاً منكم صخرة من الطبيعة .. سيصك
بها كل واحد في يده ويغمض عينيه .. ليتخيل أنه
جزء منها .. ليتخيل أنها حقيقته الحالية .. لينظر بعيني
الحجر .. ليفكر مثله .. إنه قطعة من ذاتك ، ويمكنك أن
تعلم كيف تحركه .. بل يمكنك أن تحركه لو أردت هذا
حقاً ! لكن من فضلك لا تفقد أعصابك ولا تشتم الشيء
لأنه لا يستجيب .. اسأله عن الناس .. عن الأشجار ..
عن الكون .. »

ثم رفع يده وأمر مترجمته بأن تخفض الإضاءة
في القاعة إلى أقصى حد لها ، وقال بصوت رتيب :

« الآن .. نرجوكم الصمت .. »

ودارت علينا المترجمة تقلم لكل منا صخرة .. تهابلت
(برنات) نظرة باسمة لها ألف معنى ، ثم أمسكت
الحجر وبدأت أثرت معه ذهنيًا ..

يجب أن أنظر بعيني الحجر ..

يجب أن أفكر مثله ..

يجب أن أحركه حقًا !

- « اكتبوا ماترون وما تشعرون وما تسمعون .. »

مضت بضع دقائق على هذه التجربة ثم بدأ البعض
يدونون ما رأوه .. كالعادة لم يكن لدى ما يقال لهذا
كتبته في الدفتر :

- « هذا الحجر ثقيل .. ثقيل .. »

وظللت أكرر لفظة (ثَقِيل) حتى ملأت الصفحة ..

لَقِيَ الزَّمنَ الأصلي للامتحان ، وراح المراقب يمر
لينزع الأوراق من أيدينا مع عبارات من طراز :
جيد .. ردي .. متوسط ..

فلما رأى ورقتي لم يقل شيئاً على الإطلاق ..
وواصل جولته ..

- « أنظر بعيني الحجر وأفكر مثله ! » كم بقى من
الوقت على مستشفى الأمراض العقلية إذن ؟
هنا سمعت البروفسور يقول بالروسية ومترجمته
تترجم :

- « أنت تتمتعين بموهبة لا شك فيها »

نظرت إلى تلك الموهوبة فوجدت أنه يتكلم مع
(برنادت) ! إذن الخبيثة تملك إدراكاً فائقاً للحس !
وكانت هي تنظر لى فى خبث طفولى باعتبارها تفوقت
على بشكل واضح ..

قلت لنفسى : لا ياس . إن كان للفشل فى هذا الاختبار
بعضى أن الحضارة قد غطت مواهبى فإتنى لفخور بهذا
الفشل .. وإلا لكان التفوق حليف أى محارب من
قبائل (البوشمان) يرقص حول النار ..

سبعة من كل عشرة يملكون هذه الموهبة .. أنا
الثامن أو التاسع أو العاشر .. حقاً إتنى لعبرى !

وحيث جلست جوارى همست فى أذنها :

- « أرجو ألا يتضمن الدرس التالى التهام اللحم
الذى لتحديد نصيبك من الحضارة .. »

قالت ساخرة :

- « هذا اختبار للشفافية .. وقد نجحت فيه وأنت
رسيّت ! »

ولكن كانت أمامها بضعة أيام قبل أن تتكلم عن
النجاح أو الفشل ..

- « درسنا اليوم يتعلق بمملكة الحيوان .. »

ومرت علينا المترجمة التى لا تفارق لفافة التبغ
شفتيها حتى إنتى بدأت أحسبها زائدة خلقية يمكن
إزالتها بجراحة دقيقة .. مرت علينا وهى تحتضن
مجموعة من الجراء الصغيرة اللطيفة .. تلك الجراء
التي لا تعرف عن الكون إلا أنه المكان البارد الذى
يجعلها ترتجف .. ولم تكن هناك مشكلة فى التعامل

معها حتى نكأه الكلاب ، لأنها كانت أقرب إلى
دمي أطفال ..

تساءلت همسا :

- « هل حان وقت درس التهام الجراء ؟ »

هنا علا صوت المترجمة تنقل لنا تعليمات
الدرس :

- « ضع يدك على الجرو .. انقل له بذذيات يدك
رسالة من الحب والسلام والحنان .. لسوف
يفهمها .. ركز تفكيرك كما في المرات السابقة
واستقبل ما يقول .. خذ منه كل شيء .. لسوف تتعلم
منه الكثير .. »

ثم رفع يده وأمر مترجمته بأن تخفض الإضاءة
في القاعة ، وقال بصوت رتيب عبارته المعتادة :

- « الآن .. نرجوكم الصمت .. »

وهكذا بدأت جلسة المخابيل هذه .. أعرف أن

(السايكومتري) علم ، لكنى لا أقبل هذا النوع من العلوم .. من يدري ؟ يبدو أنني على أكثر من اللازم ..

وتوالت التجارب يوماً بعد يوم ..

حتى وصلنا إلى عملية قراءة البشر .. المفترض أن يجلس اثنان متواجهان ويغمضان العيون ويمسك كل منهما بيدي الآخر ويفكر .. بإسلام ! لا أجد فرقاً هنا بين التجريب العلمى والهيام .. لهذا ولأسباب لا تخفى على أحد أصررت على أن تكون زوجتى (برنادت) هى رفيقتى فى هذه التجربة ..

وهكذا جلسنا متلامسى الأيدي ، ورحت أركز تفكيرى .. لكنى لم أصل لشىء .. كان ذلك الخنزير الأبدى يطارد أفكارى طيلة الوقت ! وأدركت أنه تحول إلى نوع من الوسواس القهرى الذى لا يأتى إلا حين لا أريده .. أما هى فراحات تبسم فى خبث مغمضة العينين .. ماذا فى ذلك ؟ أنا لا أملك أية أسرار لا تعرفها .. ليس لدى مزاج ولا بال رائى

يسمحان لى بأن ألعب دور الرجل الغامض اللعوب
كما يحب كل الأزواج أن يفعلوا مع زوجاتهم .. حتى
الرجل الذى يشبه خلد الماء ، والذى لم تعجب به أية
امراة إلا المرحومة لمة .. يصبر على أن يبدو أمام
زوجته كأنه (دون جوان) الذى تاب أخيراً ..

لماذا تبسم إذن هذه الخبيثة ؟

قالت وهى تواصل التأمل :

- « أنت تحبى ولا تعبأ بأية امرأة أخرى .. أنت
(رجل امرأة ولحده) كما يقول الإنجليز .. هذا مؤكد .. »
- « ما كنت لأحتاج إلى هذا (السايكومتري) لأكتشف
ذلك .. »

- « وتفكر فى الخنزير كالعادة !! »

هنا ارتجفت .. ربما كانت مصادفة هى تعرف
هاجس الخنزير الذى يطاردنى طيلة الوقت ، لكن
كونها تقول هذا الآن فقط جعل شعرمفرقى يتصلب ..

★ ★ ★



لماذا تبتسم إذن هذه الخبيثة ؟ : - قالت وهي تواصل التأمل !
- « أنت تحبني ولا تعباً بأية امرأة أخرى » .

كانت الاختبارات التالية في أغلبها تدور حول
كيس معلق ..

كانت المترجمة النشيطة تدور علينا كأنها تتسول ،
وكانت تطلب من كل منا أن يدس في الكيس شيئاً
دون أن يعرف الآخرون ، ثم بعد ما تنهى الجولة ،
تعود وتطلب من كل منا أن يأخذ شيئاً عشوائياً من
الكيس .. عليه بعد هذا أن يتأمل ..

ـ « الآن نرجوكم الصمت .. »

يعلنها الروسي مدوية ، وتهب الأضواء ، بينما
يتحسس كل منا الشيء الذي في يده محاولاً الاستزاج
به .. التفكير مثله .. مشاهدة رؤى معينة ، وهذا
الرؤى لها ارتباط مهم بصاحب الشيء ..

راح كل منا يدون ما شعر به ، ورأيت (برنات)
تكتب في حماسة .. وأنا الآخر كتبت الكثير جداً ..

في النهاية دارت المترجمة علينا تقرأ ما كتبناه ..
ثم تسأل وهي تلوح بالشيء :

ـ « من صاحب هذا القلم ؟ »

ترتفع يد تقول إنه لها ..

- « هل هذه الروى تعنى لك شيئاً ؟ »

أحياناً تكون الروى واضحة مثل صاحب القلم
نفسه يكتب به .. وأحياناً تكون غامضة نوعاً مثل
منظر فى الريف فى يوم مطير .. وأحياناً لا تكون
للوى علاقة بأى شىء على الإطلاق ..

وجاء دورى قراحت تقرأ ما كتبت :

- « أرى صاحب هذا القلم يتاعه بنصف دولار
من متجر فى (نيروى) .. أراه يكتب به ثلاث
رسائل ثم يلقده .. ثم تجده ممرضة فى مستشفى
فتسأل عن صاحبه وتعيده إليه .. إلخ .. إلخ .. »

قصة حياة قلم كاملة على الورق ، ونظر لى
للجميع بتبهار .. فهذه أوضح روى اليوم ..

قال البروفسور الذى يفهم الإنجليزية :

- « ماسر هذه الشكافية المفاجئة ؟ اعتدت أنك

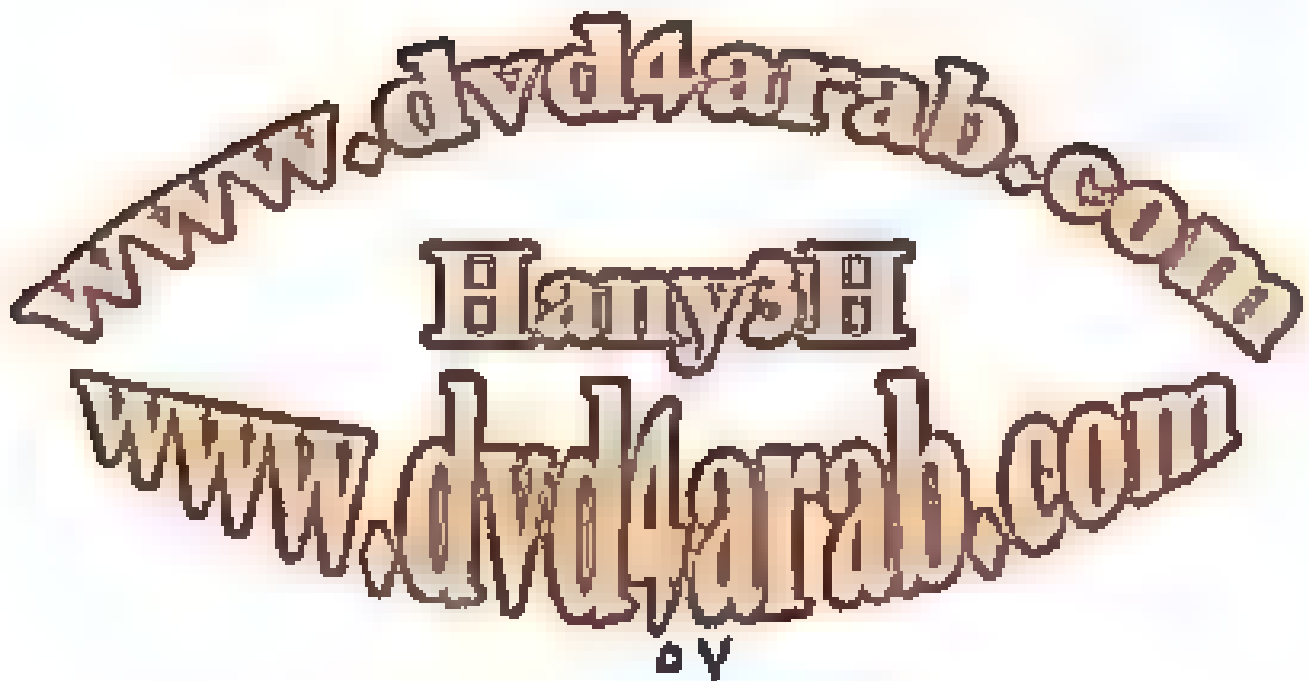
معتم كالرصاص .. »

قُلْتُ فِي خَجَلٍ :

- « السبب بسيط هو أن هذا القلم قلمي ! لقد وضعته
في الكيس ثم عاد إليّ بالصدقة ! »

طبعاً لا داعي لاستكمال المشهد .. كما أنه لا داعي
لحكاية ما حدث في الأيام التالية ..

فقط بعد أسبوع آخر أعلن البروفيسور أنه انتهى
من كل التجارب وأن بوسعنا العودة لقواعدنا ..



5- عن القياس النفسى ..

كان جالسًا إلى الحاسب الآلى فى المعمل ، حين دخلت إليه فى ذلك اليوم .. كنت مبكرًا عن الآخرين ، وقد طلبت منى (برنات) أن أسبقها لأنها تتبال حديثًا مرحًا مع طبيبة كندية أخرى .. فوجدت (سيماكوف) وحيدًا ، ورائى لى هذا برغم أننى غير مهتم بالموضوع ككل .. لكنى تذكرت النسوة التى كنت أشعر بها فى طفولتى حين أذهب للمدرسة آخر العام لاكتشف أننى الأحق الوحيد الذى لم يبق فى داره ليستذكر .. عندها كنت أجد المدرس وحده .. للمدرس المهيب الذى يفصلنى عنه حلز دائم لا يزول .. اليوم هو أمامى وملكى وحدى !!

كانت الكتابة على الشاشة بالروسية ، لهذا لم أفهم شيئًا .. لكننى حييته بالـ (داو بروى أوترا) التى حفظتها .. فرد التحية بمثلها وواصل العمل ..

سألته عن نتائج البحث فقال بإنجليزية رديئة
كالعادة :

- « ليس بعد .. ليس بعد .. أحتاج إلى دراسات
إحصائية ، ولاتنس أن العينة قليلة جدًا بحيث يصعب
أن تستخلص نتائج منها .. إننى أكرر العمل ذاته منذ
عام .. »

ثم ابتسم بخبت وأردف :

- « ما زلت أحتفظ لنفسى بالحق فى استدعاء أى
واحد منكم متى أردت ! »

سألته وأنا أتخذ لنفسى مقعدًا :

- « هل تقيس قدراتنا أم تدريبها ؟ »

- « الاثنان معًا .. إن المنحنيات ترتفع للجميع من
تجربة لأخرى .. ربما باستثناء قليلين لا يبدو أن لديهم
أى مستقبل فى عالم الإدراك الفائق للحواس .. »

كنت أعرف واحدًا على الأكل من هؤلاء القليلين ..
لهذا تحاشيت الموضوع بسرعة ، وعدت أسأله :

- « أريد أن أعرف أكثر عن هذا (السايكومتري) .. »

ضحك في عصبية بصوت غليظ اعتقد أنه خاص
بالروس دون سواهم ، وقال :

- « من الخطأ أن يعرف الشخص موضع التجربة
تفاصيلها .. هذا يلعب دور الإيحاء .. »

- « لا تتم لنا علنون إلى بيوتنا ولم نعد مواضع .. »

هنا دخلت (كاتيا) المترجمة المختبر ، وهي تحمل
بعض الأوراق .. فبتهد وأشار إليها وقال شيئاً ما ،
فوضعت أوراقها جانباً وأشعلت لقافة تبغ وقالت لي :

- « إن البروفسور يطلب مني أن أترجم ما سيقول
فهذا سيجعل الكلام أسهل .. »

- « وأنا أرحب بهذا .. فأنا أرحب في الفهم »

أغلق النافذة التي أمامه على الحاسب الآلى وبدأ
يتكلم ..

قال (سيمكوف) :

- « كما قلت لك فإن حاسة الـ Psychometry أو (القياس النفسى) سميت بهذا الاسم لأن الطبييين (بوكاتان) و(دنتون) قالوا إنها الحاسة التى تعطيك للقدرة على (قياس) الوجود النفسى للأشياء الجامدة .. هناك شيء يدعى (السجلات الأكالشية Akaslic records) .. وهى موضوع كبير معقد لن نخوض فيه ، لكننا نفترض أساسًا أن حجرًا من العصر الرومانى قد رأى وعرف كل شيء عن الرومان .. وكان رهبان الفلاسفة دومًا على أن خبرات هذا الحجر يمكن أن يلتقاها الجهاز العصبى للإنسان ويفسرها .. »

- « بعبارة أخرى .. لاشيء يختفى أو يضيع .. إنما يترك بصمة لا تمحى على الأثير إلى الأبد ... »

- « هذه النظرية أيضًا تفترض أن لكل شيء حياة روحانية خاصة به .. من ثم تنتقل مشاعر الشخص إلى الشيء الذى يمتلكه .. وهذا للشيء يمكن أن ينقل هذه المشاعر إلى شخص ثان يلامس الشيء .. »

- « هكذا يعمل الجسم المادى كجهاز إرسال واستقبال
معاً .. »

- « لقد رأيت تجربة غريبة حدثت أمامى .. إذ أحضر
أحدهم قطعة من القماش الذى كفتت فيه مومياء
مصرية قديمة ، وقدمها للوسيط الذى وضعها على
جبهته .. فجأة راح يصف مدينة فرعونية ورجلاً فى
زورق يبحر فى النيل .. لاحظت هنا أن الوسيط لم يكن
يملك أية فكرة عن مصدر قطعة القماش ... »

- « قال (بوكاتان) إن النساء يملكن القابلية أكثر
لامتلاك خاصية الـ (سايكومتري) واعتبرها موهبة
خاصة .. بينما اعتبرها من يدعى (كراوتار) شيئاً
يمكن لكل إنسان أن يمتلكه إذا امتلك الرغبة
والإرادة .. »

سألته وأنا أشعر بأن الأمر كله رخوا لين يسيل من
بين أصابعى :

- « وما هذا الشيء الذى يشعه المرء فيصل للجما ؟ »

« يسمونها aura^(*) ويعتقدون أنها تشع من كل عقل في كل اتجاه .. وبما أنه لا يوجد جسم صلب تمامًا (أنت تعرف أن هناك مسافة بين ذرة وأخرى) فإن هذه الفجوات تتشرب الـ aura من الأشخاص الذين حولها .. »

قلت له في غيظ :

« هذا الكلام لا يمكن إثباته .. إنه نوع من الشعر فهل تعتبره حقائق علمية ؟ »

قال في برود :

« أنا أحكى لك آراء يابنى ولا أقول شيئاً عن رأيي الخاص .. ورأيي الخاص لو أثبتته هو أن هذه التجارب قابلة للقياس والتكرار لكنها غير قابلة للتفسير .. وهذا يتناقض مع تعريفات التجربة العلمية الصحيحة التي يجب أن تكون قابلة للتكرار والقياس والتفسير معاً .. »

(*) الترجمة الحرفية لها هي (الشذى) أو (العبير) لكن هذا لا يعبر عن معناها جيداً ..

.. « لقد أطلق (كراوتار) على السايكومتري اسم
(عين الروح) .. وقال إن مركز هذه العين هو
الجسم الصنوبري في المخ الذي كان يؤدي عمله
ببراعة قبل أن تجطه الحضارة يضرر .. ولهذا يطلق
بعض العلماء عليه اسم (العين الثالثة) .. »

- « بقي أن تعرف أن هناك وسطاء يعرفهم رجال
الشرطة بالاسم ، ويتقنون بكلامهم .. وقد استطاع
كثيرون منهم معرفة القاتل من منديلته أو مديته ..
كما وجد كثيرون منهم قبورا لأشخاص اختفوا دون
أثر .. »

هنا قررت أن أسأله سوألا كان يخرجني بعض
الشيء :

- « وكيف أنت في الإدراك الخارق للحواس
يا سيدي ؟ »

ضحك حين وصلته الترجمة وقال :

- « أستاذ للتقد الأكبي في جامعة موسكو لا يستطيع

كتابة بيتين من الشعر .. ومدرّب فريق البرازيل قد
لا يستطيع تسديد ضربة جزاء سهلة .. لنا أدرس ظاهرة
لاستطيع التعامل معها .. باختصار لنا لا أمالك لية قدرة
على الـ PSI »

قلت في خيبي :

« إذن أنت تملك قدرًا هائلًا من التحضر ! »

وساد الصمت

ثم بدأت قنران التجارب تنخل ..

بعد دقائق احتشنا في مقاعدنا حول الرجل .. صار
هذا المشهد مألوفاً أن ترى للرجل جالساً إلى المكتب ،
بينما المترجمة تقف وراءه مستندة إلى الجدار ولقافة
للتبغ بين شفطتها .. كانت لها عادة أخرى أنها لا تتفص
لرماد ، مما يجعلها تبدو كأن قلماً من الرماد في فمها ..
وهي تترجم دون أن تنظر له بل تنظر لنا بحدة ..

قال لنا :

« اليوم يمكنني القول إن التجربة انتهت .. وهي

ليست بالضبط تجربة بقدر ما هي درس في استخدام
حواسنا .. لهذا أتمنى أن تكتبوا لي وأن تذكروا ما تعلمتموه
جيداً .. لاحظوا أن هناك احتمالاً لا بأس به أن استدعى
أحدكم لاستكمال الدراسة .. هناك ثغرات دائماً .. »

تأفف أحد الأطباء بصوت عالٍ ، وقال :

- « لم لا تنتهي كل شيء الآن وتنتهي ؟ ليس من
السهل أن نقطع حياتنا كلما أردت أنت .. »

قال البروفيسور حين وصلته الترجمة :

- « أنت بالذات اطمئن .. لن أطلبك أبداً .. ليس
لديك ما تمنحنيهِ ! »

ضحك البعض في عصبية .. ثم قال له أحد الجالسين :

- « لم نعرف بدقة من يتمتع منا بالموهبة ومن
لا يتمتع بها .. »

ابتسم الروسي وقال بطريقة الممتدة :

- « إن صاحب الموهبة يعرف ذلك الآن دون شك
وهذا يكفيني .. »

ثم أشار إلى (برنات) وقال :

- « هذه هي الأولى على الصف .. هذا يكفي في الوقت الحالي .. »

احمر وجهها خفراً وغمغت بشيء لا بد أنه يعني :
ليس إلى هذا الحد .. أو ليس كما تظنون ..

قلت لنفسى إنه لا بأس .. على كل حال أنا وهى
شخص واحد قاتونا وشرعاً .. يكفي أن يتمتع أحدهما
بحراس خارقة للحس بينما الآخر غيبى كالسحفاة ..

لمشكلة الوحيدة هنا هي أن على أن أحاط لأفكارى من
الآن فصاعداً ! صحيح أنتى لا أفكر فى شيء يضايقها
لكن من أدرايتى ؟ عندها تكفى لمسة واحدة ليدى كى
تعرف كل شيء .. من يدرى ؟ ربما كان على كذلك
أن لمسح الـ aura من على أقلامى ومفاتيحى وعويناتى .

ترى هل يكفي لإزالة الـ aura أن أتقم حاجياتى فى
بعض الخل ؟

★ ★ ★

6- في (سافاري) ..

كانت عودة مبهجة ..

للحقيقة أن هذا هو الحل السحري للملل من حياتك ..
أتركها - حياتك - كما هي وابتعد بعض الوقت ، فإن
كانت خبرتك مبهجة نسيت همومك ، وإن كانت كئيبة
أدركت كم كانت حياتك رائعة .. وفي الحاصلين تعود
منعشاً كهرة تصحو من نومها ..

في البداية كانت التحيات ، ثم قيل لي إن (سينوريه)
ينتظرتنا بفارغ الصبر في مكتبه ..

بخنا وتبادلنا المزاح الثقيل مع السكرتيرات ، وجرعت
جرعة عملاقة من كوب القهوة الذي أمام (جين) ،
وهررت ما فطنت بأن القهوة مفيدة لمرض الإيدز الذي
أصبت به ، ثم ألقيت بنفسي في المقعد أمام لأمدير ، الذي
راح يسألنا عن كل شيء .. كان بطبعه نهماً للمعرفة ،
وقد رافقت له هذه التجربة لأنه من المؤمنين بوجود
مستوى آخر من الطب لم يدون في الكتب ..

قال لى :

- « أعرف عن بعض تجارب السايكومتري ، كما
أنتى قرأت اسم (سيماكوف) فى أكثر من ورقة
علمية .. لكنه لم يتكلم فيها إلا عن الطب النفسى .. الطب
النفسى المحترم .. ولو تكلم عن هذا الكلام للمانع فى
ورقة علمية لما نال إلا السخرية .. »

كنت أصقله .. فهو مرجع طبى يمشى على قدمين ..
إيه مثل (آرثر شيلبي) و (جيديون) وإن لم يكن
استعراضياً هستيرياً كالأول ، ولا يهودياً غريب
الأنوار يكره نفسه والجميع مثل الثانى ..

قلت له :

- « أمام العلم الكثير حتى يجد فائدة ما لهذه الأمور .. »

ابتسم فى غموض وقال :

- « ليس كما تتصور .. لو أن لدينا طبيباً بارعاً
فى هذه الأمور لأمكننا أن نجرب .. »

صاحكًا أشرت إلى (برتات) :

- « لم تنتظر وعندك وسيطة ممتازة هنا ؟ »

قالت (برتات) في خفر :

- « ليس إلى هذا الحد .. »

- « بل إلى هذا الحد .. إن الدكتور (عبد العظيم)

قد برهنت عن إدراك فائق للحس لا شك فيه .. »

- « إلى هذا الحد ؟ »

قلها وهو ينظر لها في تركيز شارد للذهن ، وأدركت

أنه يفكر في استغلال هذه الموهبة بشكل ما ..

في النهاية قال لنا :

- « أريد أن نلتقي في عصر الأمراض الباطنية

غداً .. ثمة أشياء أريد أن أعرفها بدقة .. »

(ماجدة بولو) .. في الأربعين من عمرها .. لم تلتصق

أطفال وعانت يوماً تتمتع بصحة جيدة ، ثم بدلت لحمي

مجهولة المصدر .. فى كل ليلة ترتفع حرارتها حتى التسعة والثلاثين درجة مئوية .. لا توجد أعراض أخرى .. صورة الدم عادية .. التحليلات المعروفة بحثًا عن الملاريا والكالا أزار والتيفويد والدرن ... إلخ .. كلها سلبية .. حالتها تزداد سوءًا .. وكل حمى تسبب هزالًا واضحًا فى المحموم إذا طالت ..

تتلقى المريضة الآن علاجًا امبريقيًا غريبًا يصلح لأن يكتبه لها قنان سريلى مثل (سلفادور دالى) أو مجنون فى مصحة يضع كسرولة مقلوبة على رأسه .. إنها تتلقى علاجًا للخراج الكبدى الأميبى والملاريا والتيفويد والدرن .. إلخ ...

طبعًا هى لا تتحسن .. لا يمكن أن يشفى شخص يتلقى هذا الخليط الجهنمى ..

سياسة المستشفى الحالية هى وقف جميع أنواع العلاج والسماح للمريضة بالعودة لدارها .. أحيانًا تشفى هذه الحميات تلقائيًا ..

الخلاصة هي أن هذه الحالة كانت مسماراً في
نعش الإمبراطورية .. معذرة .. أعني نعش ثقلتنا
بمعلوماتنا الطبية ..

وأمامها وقفنا نصغي لكلمات (سينوريه) بينما
كان هناك طبيبان مقيمان يراقبان ما يحدث ..

قال (سينوريه) :

- « الأمر الآن في يدك .. لا أطلب تشخيصاً لكن
أطلب توجيهاً .. ستخبريننا عن اتجاه النور في نهاية
النفق .. هل هو من الشرق أم الغرب أم الشمال ؟ »

قالت (برنات) بوجه محمر :

- « سيدى .. أنت تبأغ .. لا أمك هذه للقدرة ولا أثق
بأن أحداً يملكها .. »

- « لهذا لن نعالجها بناء على تكهناتك .. لكننا
سنضعها في الحسيان .. »

في تردد تتقدم (برنات) .. تجلس أمام المرأة ..

تتظرفى عينيها الواسعتين البيضاويتين وسط وجهها
الأسود .. للمرأة شملتان غليظتان تتفرجان عن تأوه
صامت ..

تهمس (برنات) :

- « ليكن .. الآن أرجوكم الصمت .. »

ثم تغض عينيها وتمسك بيد المرأة ..

- « علينا أن نتذكر أن للرؤى التى رأيناها قد لا تكون
بهذا الوضوح .. قد لانفهمها الآن .. قد لانفهمها
للأبد .. لكنها العلامة الأولى على أن حواسنا تنفض
عنها الصدا .. سنواصل العمل ولن نينس .. »

يسود الصمت وتتبادل النظرات .. عرفت أكثر من
نصاب كان يمارس هذه الأفعال والحركات من قبل ..
فى مصر زارنا طبيب قديمى يجرى استئصال المرارة
وحصوات الكلى من دون جراحة .. فقط يمرر يده

على بطنك ثم يريك المرارة الملوثة بالدم في كفه ..
وبعد ما قبض لتعابه الخرافية وسافر ، علوت الأعراض
مرضاه فأجروا الفحوص اللازمة .. ماذا تتوقع ؟
بالطبع كانت المرارة موجودة في كل مريض كما هي ..

لاستطيع أن أتق بهذا لضرب من العلاج ولا تؤمن
به .. لكن القوى النفسية موجودة وحقيقية .. وبالفعل
يمكن لمحاولات كهذه التي يمارسها (سيماكوف) أن
تقبض على لقطة .. فهل يمكن أن تقبض على المرض ؟

مرت دقائق ثم فتحت (برنات) عينيها .. وتخلت
يدها عن يد المرأة ..

همست كأنما تصحو من نعاس طويل :

- « رأيت .. رأيت ظهرها ووضعا لمسى .. رأيت فقرته
فقرة فقرة ثم توارى كل هذا .. غاب في ضباب .. »

قال أحد الطبيبين المقيمين وكان بريطانيا :

- « هذا مثير .. أي جزء من الفقرات ؟ »

نظرت له برنات لتتأكد من أنه لايتهم ، ثم قالت :

- « فقرات الصدر .. »

قال (سينوريه) وهو يعقد ذراعيه على صدره :

« هل أجريتم مسحاً للهيكَل العظمى ؟ لا ؟ لماذا لا ترتبون لواءحد ؟ »

قال أحد الطبييين وهو ينظر للآخر فى نظرة شك :

« ستفعل يا سيدى .. »

أما (جون جارلوتج) فهو شاب فى الثلاثين من عمره .. لاشىء يميزه سوى اكتئاب حاد عنيف مصحوب بنوبات جنون .. نعم .. جنون لأنه هشم عظام زوجته وألف ابنه فى ثورة غضب غير مفهومة .. لا يمكن أن يكون الطقس الحار هو السبب ..

قال الأطباء النفسيون إنهم لا يعرفون سبباً لهذه الحالة ، ويخيل إليهم أنه يعانى مرضاً عضوياً ما أدى لهذه النتيجة .. ما هو المرض العضوى ؟ لا أحد يعرف .. إن أكثر الفحوص سلبية تماماً .. وفيما عدا انخفاضاً ملحوظاً فى ضغط الدم فإن كل شىء على ما يرام ..

وتجلس (برنادت) في تردد على طرف الفراش ،
وتتظر في عيني الرجل الخائفتين .. إنه واهن القوى
لكني ظلت قلقاً من أن تتأبه نوبة هياج مفاجئة
فيهشم أنفها بدورها ..

أمسكت بيده وهمست طالبة الصمت فصمتنا ..
وراحت تتلقى الـ aura من مصام جلده ...

همست في أذن (سينوريه) :

- « لو رأنا رئيس مجلس إدارة (سافاري) لرقص
طرباً !! »

ابتسم بدوره وغمغم :

- « بالتأكيد .. سيعتقد أنني حولت الوحدة إلى خيمة
حواة .. لكن لاحظ أننا لن نتخذ قرارات بناء على
كلامها .. لو أفادتنا كان هذا خيراً وعلينا أن نثبت
كلامها بالطريقة العلمية الصحيحة .. »

في لتهالية رفعت رأسها وقلت بصوت مبجوح قليلاً :

- « هذا صعب .. لا أرى شيئاً .. »

ثم فجأة أغمضت عينيها من جديد :

- « لحظة .. نعم .. أرى كلبته .. أرى كتلة سوداء
شريرة فوقها ... »

قلت في غباء :

- « لا أفهم .. »

هتف (سينوريه) وهو يحك رأسه :

- « (أديسون) .. مرض (أديسون) .. إنها تتحدث عن
ضمور الغدة فوق الكلوية .. لم يخطر لنا هذا ببال .. »
ثم أشار إلى الطبيبين أمراً :

- « أريد نسبة (الكورتيزول) في دم هذا الرجل ..
أريدها حالاً »

وبعد رفقة أشار إلى (برنات) كي تتبعنا خارج
الغبر .. سألته ونحن نتجه إلى الخارج :

- « لحظة يا سيدي .. هل يوجد مرض (أديسون)
من دون كل الأعراض والعلامات المعروفة ؟ »

- « إن ضغطه منخفض .. ثم لا تنس أنه لا يوجد شيء واضح أو شفاف في الطب .. لو أنك رأيت عشرين حالة تيفويد فلسوف ترى عشرين شكلاً مختلفاً من المرض .. وقد تصرف مرض (أليسون) بهذه الطريقة الغامضة أكثر من مرة .. ثم إن ظاهرة اسوداد اللون لا يمكن قياسها في مريض زنجي أصلاً ! »

نظرت إلى (برنادت) وشعرت بأنني أشفق عليها من أن تتحول من طبيبة بارعة إلى عرافة منكوشة الشعر ، تلبس عشرات العقود حول عنقها ، وتحقق في بلورة سحرية .. ربما يفيد بعض المرضى من هذا ، لكنني لن أفيد منه خاصة وأنه من المستحيل أن تمارس هذا النشاط العجيب من دون أن تتغير ..
حنناً ستتغير والتويل لي أنا ..

لكنني اعترفت أنها لم تتغير ، ولم يبد عليها على الإطلاق أنها عرفت تجربة كذلك التي مررنا بها ..

هكذا مرت الحياة هادئة مع تلك العزيزة الباسلة ..
نعرفون أنني لم أكن ملائكة طيلة الوقت ، وأن
للخلافات كانت تحدث من حين لآخر ، لكن لو نظرت
للصورة الإجمالية من بعيد - حتى تختفي البقع السوداء
الصغيرة - لأدركت أننا كنا سعيدين حقاً ..

واصلت أنا حملتي لرهية مع مرض (كالا أزار) ،
واصلت هي علاج الأطفال .. لكننا كنا نعرف أن
الوقت قد دنا وأنا سنعود إلى (الكامرون) قريباً ..
وقد رسمت (برنادت) مجموعة من المربعات عددها
تسعون على لوح من الورق ، وكلما مضى يوم كانت
تسود مربعاً .. ورحنا ننتظر في لهفة يوم تسود
المربعات كلها .. إنها طريقة (روبنسون كروزيه)
معدلة قليلاً .. فهذا الأخير كان يرقب تراكم الأيام في
جزع ، أما نحن فنرقب تناقصها في لهفة ..

ويوم عرف (سينوريه) بهذا النشاط اليومي
الصغير ، قال لي ضاحكاً :

- « لم أدرك أنك تكرهنا إلى هذا الحد .. »

- « ليس إلى هذا الحد .. »

- « لكن دعني أخبرك بشيء مهم ، لا تقض حياتك بانتظار أن تنتهي الفترة كذا والفترة كذا .. أن تنتهي فترة الدراسة .. أن تنتهي فترة التجنيد الإجباري .. أن تنتهي فترة انتدابك في (كينيا) .. إلخ .. لسوف تجد أن حياتك صارت مجموعة من الفترات يجب أن تنتهي .. وهوب ! تكتشف أنك بلغت نهاية العمر ولما تنعم بحياتك يوماً واحداً .. »

لم يرق لي كلامه .. لم يرق لي لأنه أدق من اللازم .. لذا سألته :

- « وماذا تريد مني أن أفعل ؟ »

- « يجب أن تستمتع بكل فترة كأنها هي الصورة الوحيدة النهائية لحياتك .. »

إنه كما عرفت دائماً خليط عجيب من شاعر وفنان وطبيب .. لكني فعلاً - وهذا يثير دعري - فقدت القدرة على الاستمتاع بالحياة .. أجعل لحظة في اليوم

بالنسبة لى هى نهايته .. يبدو أنه كان لدى جهاز
استقبال خلقه الله لى .. جهاز استقبال لمتع الحياة ،
وهذا الجهاز قد فسد أو انتزع منى ...

رباه ! هذه خواطر لن أخبر بها (برنانت) أبدًا
لأنها لا تخلو من إهانة لها باعتبارى غير قائل على
الاستمتاع بشيء حتى وهى معى ..

ما لم تكن طبعًا تملك الأفكار ذاتها !

وما لم تكن طبعًا قد خمنت ما أفكر فيه بهذا القياس
النفسى !



7 - من فعلها ؟

لا بد أن (داتيل كيتياتا) لم يتألم كثيرا ..

هذا يريحنا على الأقل إلى حد ما ..

تخيل أن تتلقى ضربة قوية على رأسك بآلة كاتبة ثقيلة من الطراز القديم !! لا وقت للألم لأن مركز الألم نفسه تهشم على الأرجح .. هذا الانتقال الفوري إلى العالم الآخر قد لا يكون أليما ..

ثم إن قلميها فقدتا القدرة على التماسك فهوى على الأرض .. ثم لفظ أنفاسه الأخيرة ..

يمكننا الآن - لو أغضضنا عيوننا - أن نرى المشهد كالتالى :

حارس الأمن الأسود بقميصه الأزرق الملوث بالعرق يمشى فى الممر الطويل .. يمر أمام مكتب المدير الذى يفترض أن يكون مغلقا الآن فى الساعة

الثالثة صباحًا .. لكنه الآن موارب .. ليس مفتوحًا
لكنه موارب ..

يعد يده المتوترة إلى الباب ، ويفتحه أكثر فيرى
ضوء الكشاف يتقل بين قطع الأثاث في غرفة
المكثرات الواسعة ..

هنا يقرر أن هناك شيئًا ليس على ما يرام .. إن
رجال الأمن أذكاء دومًا ..

وهكذا يقتحم الحجرة صارخًا :

« من هناك ؟ »

لا بد أنه قالها بالسواحلية لأنه لا يتكلم الفرنسية ..
لكن الصوت والنبرة يؤيدان الغرض على كل حال ..

بالطبع لم يكن مسلحًا .. كان يحمل هراوة وسلطته
فقط .. ليس كرجال الأمن في (مسافري - 4) الذين
تعلموا أن المسدس والسروال شيء واحد ..

هنا حدث الشيء المتوقع .. انطفأ الكشاف ..

وإذ راح يبحث عن مفتاح الإضاءة الكهربى فى
الظلام بالطبع لم يجده .. لأحد يجد المفتاح وهو
متوتر بهذا الشكل الخطير ..

لكن شيئاً فاته ، هو أنه كان يقف أمام الباب
الموارب .. أى أن هيئته كانت واضحة على شكل
(سلوبت) فى الضوء القادم من الخارج ..

ولابد أنه لم يجد الوقت الكافى ليفهم ، لأن المتسلل
حمل الآلة الكاتبة الثقيلة .. الآلة الموضوعة على
مكتب (جين) ، والتى لم تستعملها منذ مائة عام ..
لابد أنه رفعها بكلتا يديه ..

لابد أنه هوى بها على رأس رجل الأمن .. وعلى
الفور لحنفى اسم (دانييل كينيياتا) من أسماء مواطنى
(كينيا) ليدخل قوائم الوفيات ..

هذا هو كل شيء .. ولابد أن المتسلل غادر
المكان منهوفاً قبل أن يراه أحد آخر ..

★ ★ ★



لا بد انه راعها بكتنا يديه .. لا بد انه هوى بها على راس وجل
الامن ..

حين غادرنا غرفتنا في الصباح كانت هناك حركة
غير عادية في الوحدة ..

قالت (برتانت) في عدم فهم :

- « ماذا حدث هنا ؟ »

قلت بلا مبالاة وأنا أغلق الباب :

- « حدث شيء ما .. هذا مؤكد .. ونحن لا نعرفه .. »

- « أنت عبقري اليوم .. »

ولما لم يكن لنا شأن بالموضوع فقد اتصرفنا هي
إلى قسم الأطفال ، بينما اتجهت أنا إلى مكتب المدير
لأعرف ما إذا كان على أن أسارع عملية البحث
المبدئية اليوم .. وكنت أكره هذا بشدة ، وأفضل
لو تركني وشأني لأذهب إلى قسم الجراحة ..

لكني كنت بالفعل أدخل إلى قلب الزحام نفسه ..

رجال شرطة عديدون وأطباء وضوضاء وزحام ..
ثم في النهاية رأيت المبرر الوحيد لهذا كله .. المحفة

التي تتحرك بما عليها من جسد مغطى بملاءة .. هذا
واحد يقادر غرفة المدير (بالقدمين أولاً) كما يقولون
في التعبير الشائع كناية عن الموت ..

سقط قلبي في قفسي وهرعت لقف جوار طبيب فرنسي
يراقب المشهد وهو يلوك اللادن :

- « ماذا يحدث ؟ »

- « هناك قتل .. »

- « من ومتى وكيف ؟ »

- « رجل الأمن (داتيل) .. حدث هذا ليلاً .. أما
عن (كيف) هذه فما مبرر كل رجال الشرطة هؤلاء
إذن ؟ »

ووسط الزحام بدا لي وجه (سيثوريه) الممتنع
وهو يتبادل الكلام مع رجل شرطة كيني .. لقد تحقق
أسوأ كوابيسه ..

اقتربت منه أكثر واستطعت أن أسمع طرفاً من

الأحداث .. أما عن كيفية اكتشاف الجريمة فعاملة
النظافة طيفا .. يبدو لي أن أكثر جرائم القتل
تكتشفها عاملات النظافة ..

قال لي (سنيوريه) وهو يشق طريقه بين الزحام
من حوله :

- « جريمة قتل .. »

- « أعرف يا سيدي .. لقد قيل لي هذا عشر
مرات .. »

- « لقد فلجأ السارق .. ودفع حياته ثمنا لهذا .. »

هذا مهم .. إذن الأمر يتعلق بلص .. لص ضابط
متلبسا ووجد نفسه مرغما على أن يخفي جريمة
السرقه بجريمة قتل .. هذا يحدث كثيرا ، والأرجح أن
اللص كان في حالة من الانفلات العصبي التام .. كان
يريد الخروج من هذا بأى ثمن ..

هنا تنكرت :

- « هل سرق شيء يا سيدي ؟ »

.. « لم يتسع الوقت .. لقد فر قبل أن يمض شيئاً .. »

.. « وهل لديك هنا ما يصلح للسرقة ؟ لا أحسبه
تسلل كي يسرق مقعداً أو حاسباً آلياً .. »

كنت أعرف أنه لا توجد أموال طائلة في مكتبه ..
إن تعاملات هؤلاء القوم تتم بالشيكات وبطاقات
الائتمان .. إلخ ... بحيث لا يمكن أن تتوقع أن تجد
كيساً مليئاً بالدولارات أو تجد رواتب الوحدة كلها
لو خطر لك هذا ببال ..

ابتلع ريقه ونظر بعين زائغة إلى المحفة التي
تبتعد .. ثم قال :

.. « يوجد شيء .. وهو على قدر من الأهمية ،
لكن من يعرفون بوجوده قليلون .. أعتقد أن المتسلل
كان يعرف .. »

.. « هذا يضيق دائرة البحث كما يقولون في
القصص .. »

.. « ربما .. ربما ؟ »

هنا بنا منه أحد رجال الشرطة الكيبيين ، وقال له
وهو يحلف عرقه :

- « سيأتي رجال من (نيروبي) للبحث .. لكننا لن
نجد بصمات على الأرجح .. »

- « هذا طبيعي .. الكل ينس قفارات هذه الأيام ..
تبًا للصينما ! »

ثم إن (سينوريه) نادى نائبه، وهو طبيب تركي
يدعى (مصطفى نصار) كان يعمل مع (ستيجوود) ..
ورأيت أنه ينتحى به جانبًا ويتبادل معه حوارًا هامسًا
سمعت منه بعض العبارات الموحية :

- « اسمع .. لا قيل لي بهذه المشكلة .. كل هذه
التفاصيل .. يجب أن تتولى أنت الأمر .. أرملة
الحارس .. التأمين .. انقل ما يلزم ليكون مكتفى إلى
غرفة أخرى مادام البوليس قد احتل هذه بالكامل .. »

سمعت هذا كله وشعرت بالشفقة عليه .. الشاعر
الروماني والرسام الحالم مطلب بأن يلعب نور المدير
لحارم الخبير بالتفاصيل .. أعفد .. ولا تحسبني لمزح -

أنه كان يفضل أن يستقيل في هذه اللحظة بالذات ..
فلو ترك وشأنه لأعلن للجميع أن (مصطفى) هو المدير
الجديد ، ثم اتجه إلى مسكنه لينام ..

أخيراً لم أر ما يدعو إلى الوقوف فتصرفت أسفاً ..
يبدو أنني حر اليوم لأفعل ما يروق لي .. وما
يروق لي هو شيء واحد : الجراحة ..

★ ★ ★

كنت أتناول طعام العشاء في الكافتيريا مع (برنات)
وطبيبة كندية أخرى ..

كنت قد حكيت لهما ملخصاً لما حدث في ساعات
الليل .. وقد توترت (برنات) لأقصى حد فقد كانت
تعرف (دانييل) وتستريح إليه ..

قالت لي في حيرة وقد أراحني طبقتها معطنة أن
شهيتها صارت تزدري :

- « وما هذا الذي في مكتب المدير والذي يستأهل
المراقبة ؟ »

- « لا يوجد سوى احتمال واحد .. »

هنا نظرت في حذر إلى الطبيبة الكندية وفضلت الصمت ..

ثم حركت شفتي دون صوت بالكلمات الأولى من الرد ..

هنا ظهر شخص مألوف على باب الكافتيريا ، وكان متجهًا نحونا ..

هذا (سينوريه) .. لقد بدأ المرح .. إن قدومه إلى الكافتيريا لحدث جلل يستحق الذكر .. من المعتاد ألا ترى المدير في الكافتيريا مع الرعاع من أمثالنا .. لكن (سينوريه) على ما يبدو مصمم على أن يكون بين البروليتاريا الكابحة ..

نهضت مرحبًا به ، ودعوته إلى الجلوس معنا ، لكنه هز رأسه في عصبية غير راغب في الكلام ، وقال بصوت ثابت مخاطبًا (برنادت) :

- « المريضة (ماجدا) التي رأيتهَا أمس .. ثمة

فقرة من ظهرها قد تحللت من جهة الشوكة تمامًا ،
وقد وجدنا بروتينات (بنس جونس) في بولها ..
وهذا يعنى .. »

قلت في دهشة :

- « سرطان النخاع المتعدد Multiple Myeloma ..
يا للعراة ! هذا لم يخطر لنا ببال »

نظر إلى (برنات) في إعجاب لم يخفه وقال لها :
- « أنت رأيت ظهرها في خيالك .. وبالتالي فكرنا
لأول مرة في مسح عظامها .. كان السرطان قس
بدايته فلم يعلن عن نفسه إلا بالحمى .. ولولاك
لربما كنا أعدناها إلى دارها .. »

قالت (برنات) وقد احمر وجهها كالصلصة :

- « كان الأمر سيتضح .. وما كان ليظل سرًا ..
إن آلام الظهر سوف »

- « متأخرًا جدًا .. كنا سنعرف متأخرًا جدًا .. »

قَالَهَا وَجَنَّبَ مَقْعَدًا لِيَجْنُسَ وَقَدْ شَعَرَ بِأَنَّ الْكَلَامَ
يَحْتَاجُ إِلَى جَلِيسَةٍ بَدَلًا مِنْ وَقْفَةٍ ..

هَذَا سَأَلَتْهُ فِي تَرَدُّدٍ :

- « وَالْفَتَى .. هَلْ هُوَ ؟ »

- « مَاذَا تَتَوَقَّعُ ؟ هُنَاكَ انْخِفَاضٌ شَدِيدٌ فِي نِسْبَةِ
الْكُورْتِيزُولِ فِي دَمِهِ .. لَقَدْ دُمِرَ الدَّرَنُ غَدَّتَهُ فَوْقَ
الْكُلُوبِيَّةِ تَمَامًا .. إِنَّهُ مَرِضٌ (أَدِيسُون) بِالْفِعْلِ وَإِنْ لَمْ
يُظْهَرِ مِنْهُ بَعْدَ إِلَّا بَعْضَ الْأَعْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ الشَّبِيهِةِ
بِالْجَنُونِ .. وَالْوَقْعُ لَنَا حَقٌّ .. لِجَمِيعِ حَقِّقِي .. كَانَ
لَدَيْنَا ارْتِفَاعٌ فِي نِسْبَةِ الْيُوتِلِسِيُومِ وَنَقْصٌ فِي الْفُورِيدُومِ ،
لَكِنَّا لَمْ نَهْتَمْ بِمَا يَكْفِي بِهَذِهِ النَتِيجَةُ .. »

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى (بِرْتَانِيت) مِنْ جَنِبٍ وَأَشْرَقَ وَجْهَهُ وَهَتَفَ :

- « أَنْتِ كَنْزِيَا صَغِيرَتِي (١) »

كَانَ الْأَمْرُ صَعْبًا الْإِبْتِلَاعَ بِالنَّسْبَةِ لِي .. لَقَدْ تَحَوَّلَتْ
(بِرْتَانِيت) إِذْنًا إِلَى وَسِيطَةٍ نَفْسِيَّةٍ مُوَثَّقَةٍ بِهَا ..
زَوْجَتِي الَّتِي أَعْرِفُهَا كَنَفْسِي تَحَوَّلَتْ إِلَى امْرَأَةٍ غَامِضَةٍ ..
رَبِّمَا مَخْبِيَّةٌ كَذَلِكَ ..

قلت له في غيظ لم أخفه :

- « سيدى .. إن العلم لا يعتمد على الرؤى وأساليب
الوساطة هذه .. »

ضرب المنضدة بقبضته وهتف :

- « أعرف هذا أكثر منك .. لكن هذه الأساليب
للمخيفة قد أنقذت مريضين / مريضين وأنا لست من
مدرسة الطب المتعصب الذى يفضل أن يموت المريض
بعلاج صحيح على أن يشفى بعلاج خاطئ .. لا تنس
أن (برنات) اقترحت فقط ونحن بحثنا عن الحقيقة
بالطرق العلمية المجربة .. »

ثم نظر لها في إعجاب من جديد وقال :

- « بعدما تنتهيان من العشاء أريدكما في مكتبي .. »
ودون أن يسألنى رفع علبه المياه الغازية التى
تخصنى وشرب جرعة منها ، ثم حملها معه وانصرف ..
ولم أكن أعرف أن مشاكلنا على وشك البدء ..

★ ★ ★

٨- التجربة ..

ذهبنا إلى المكتب نجر أقدامنا ..

في الحقيقة لا أشعر بأية رغبة في أن نتورط أكثر
في هذا الموضوع .. لا أرغب في أن يعتبر أحد
(برنالت) مجرد وسيطة نفسية أو معالجة روحانية ..
هي طبية بارعة ولا يجب أن تكون شيئاً آخر ..

دخلنا لنجد أن مكتب السكرتيرات قد تحول إلى
فوضى ، وهذا متوقع طبعاً .. كان هناك أربعة رجال
شرطة وأشياء مقلوبة ومبعثرة ... يبدو أنهم رفعوا
البصمات كلها ، وبالتالي لم يعد مسرح الجريمة
ساخناً ..

بقعة دم ! بقعة دم أسود لونها هناك على البساط
جعلت أحشائنا تنقلص ..

غريب أمر الدم حقاً .. إنه سائل مفعم بالرموز ..

نحن نراه طيلة الوقت في عملنا .. لكن هناك أكثر من دم .. الدم للتأبض في العروق رمزا للصحة والحياة .. والدم الملقى في إهمال على الأرض يشي بالموت .. ثمة دم نوجده بأنفسنا في غرفة الجراحة ولا يحرك فينا ساكنا ، ودم يوجد غيرنا ونشمئز منه كالآخرين ، خاصة حين لا يعود بوسعنا أن نعمل شيئا ..

قال لنا المدير حين رأنا :

- « آه ! فرغتما من الطعام ؟ جميل جميل .. تعاليا .. »

كان يتكلم وهو يجر قدميه بين الأشياء التي لا تعرف كنهها والتي تغطي الأرض ، وكان من الواضح أنه لم يدخل مكتبه الداخلي بعد وإنما فضل أن يبقى حيث حدثت الجريمة ..

في غلظة قال لنا أحد رجال الشرطة شيئا ما .. لا توجد ترجمة سواحلية لكن نبرة الصوت وتعبيرات الوجوه لخير مترجم : امش من هنا منك لها ! أو شيء من هذا القبيل ..

صاح (سنيوريه) في عصبية في الشرطى :

- « كفى ! إتنى مازلت سيد مكتبى ، ولا أسمح لهذا الاحتلال العسكرى أن يمنع أحداً من الدخول ! هل تفهم أيها القرصان القبيح ؟ »

ومن جديد كان الكلام بالفرنسية ، لكن تعبيرات وجهه ونبراتة كانت مفهومة تماماً لرجال الشرطة ..

قال لنا وهو يجرنا إلى الداخل :

- « لقد جلبوه من قريته - ذلك الشرطى - وأعطوه بندقية وأمروه أن يقف هنا ويقتل من يحاول الدخول .. وهو سيفعل هذا للأبد ، حتى لو رأى مجموعة من الأطفال الرضع .. هلمّا ! لا تبالوا بهذا القرصان .. »

- « سيدى .. إن كنت ترى أن الوقت ليس .. »

- « إنه مناسب ! بحق السماء ليس هناك وقت أكثر

مناسبة ! »

ثم جلس إلى أريكة هناك ، وجلست و(برنات) إلى أريكة أخرى .. قال لنا وقد لاحظ توترنا للعام من الجو :

- « هذا طبيعي .. للمرء لا يتواجد في مسرح جريمة كل يوم .. لا شك أن هذا لا يناسب نفسيك الشفافة يا دكتور .. »

ابتلعت ريقها وبعد قليل همست :

- « دكتور (سينوريه) .. لا أرى أن كنت أبداً فظة بهذا الكلام أم لا .. لكن الحقيقة هي أنني لا أستطيع بتاتاً معاملتي باعتباري وسيطة روحانية أو ساحرة .. »

ابتلع المعاملة الخشنة وقال :

- « هذه خسارة كبرى لأننا كنا راغبين في استعمال موهبتك من جديد !! »

ونظر إلى أعلى وقال :

- « لقد طلبت الإذن من العقيد (موادبيكتا) .. »

هنا نظرنا لنرى (موادبيكتا) رجل شرطة الكينى الذى كان أول من اقتحم (سافارى) فى ليلة الانفجارات تلك .. الرجل الذى يتكلم بخطورة وينظر بخطورة

ويأكل بخطورة ويدخل الحمام بخطورة .. الرجل
الذى تسيطر عليه فكرة : هذه أمور أمنية لا تلهيهمونها
ولا يجب أن تحاولوا فهمها .. من أين جاء ؟ يبدو
أنه كان في المكتب الداخلي ، وكان - طبقاً - يدس
عصا المارشالية تحت إبطه وقد قوس ظهره للوراء
مصعراً خذه للناس .. لا يستطيع الضابط في قلب
إفريقيا أن يعيش دون عصا مارشالية كما يبدو ..
قلت له ضاحكاً :

- « يبدو يا سيدي للعقيد أنه بوسعك أن تنقل مكتبك
إلى هنا .. إننا نراك أكثر من اللازم هذه الأيام .. »
لم يضحك .. فقط تقلص خداه المليئان بالأخاديد
وقال باشمئزاز :

- « هذه طبيعة عملنا .. أعمال إرهابية في مرة ..
وجريمة قتل في مرة أخرى .. »

أردف (سينوريه) وهو ينظر إلى (برنات) :
- « الأمر هين .. خطر لي أننا لن نخسر شيئاً لو طلبنا

منك أن تغمضي عينيك وتحمسي كل شيء في
مسرح الجريمة هذا .. »

قال (موادبيكتا) في حزم وشمم :

- « نحن رجال الأمن لانتق بآية أساليب غير البحث
الجنائي .. لكننا قد نتنازل ونقبل شيئاً كهذا .. نحن لم
نضع شيئاً في الأحراز بعد ، وإن فرغنا من رفع
البصمات .. لا يبدو أننا سنجد إلا بصمات السكرتيرات
على كل حال .. يمكنك أن تأخذي راحتك .. »

قالت (برنات) في توتر وهي تنظر لى :

- « لكن .. لكن .. من أين أبداً ؟ »

قال (سينوريه) على الفور :

- « هذا هين .. من الآلة الكتابة طبقاً .. لو كان هناك
أثر من الـ Aura على شيء فلابد أنها الآلة الكتابة .. »

ساد صمت متوتر :

ثم نهضت (برنات) متجهة إلى الآلة الكتابة
للمعلاقة ..

كانت موضوعة هناك على مكتب (إيفيلين) القديم ..
وكانت هناك لطفة من الدم الجاف الممزوج بالشعر
على حافتها المديبة .. هذا الجماد اكتسب معنى
رمزياً هائلاً حتى غدت له حياة خاصة مريعة .. هذا
وجود ثقيل لا يمكن تجاهله ..

مدت يديها في تردد إلى الآلة الثقيلة .. أغمضت
عينيها وهتفت :

- « الآن أرجوكم الصمت .. »

ولم يكن من داع لهذا لأن الصمت كان ثقيلاً بما
يكفى ..

راحت تتحسس المعدن مقمضة العينين .. أنا
أعرف ما يدور بذهنها الآن .. إنها تحاول الكلام مع
الآلة .. تحاول أن تسألها عن ذكرياتها .. تحاول
اختراق تلك المسام بين الذرات التي منها دخلت
الـ Ангa منذ صنعت الآلة في ألمانيا حتى صباح
اليوم ..

ورفعت عيني لأرى تعبيرات الآخرين ..

على وجه (سينوريه) تعبير مضحك من الأمل
المؤلم والانبهار الأبله .. على وجه (موادابكيتا)
تعبير أمنى صارم يوحى بأن الأمور كلها تحت
السيطرة .. رجال الشرطة ينظرون فى بلاهة إلى هذا
المشهد ، وإن كان من الواضح أنهم يفهمونه .. لا بد
أنهم يبحثون عن مرتكبى الجرائم بطرق مماثلة فى
قراهم .. « المرأة البيضاء ساحرة » .. هذا هو
ما يقولونه فى أذهانهم الآن .. لماذا لا تطلب رأى
واحد منهم ، ما دام القياس النفسى يتناسب عكسياً مع
درجة التحضر ؟

(برنات) نفسها بدت لى فى قمة سحرها وهى
تتحنى مغمضة العينين على الآلة الكاتبة وقد تقلص
وجهها من فرط التركيز واتسابت خصلات شعرها
الأشقر تغطى ملامحها .. فخطر لى أننى لو كنت
رساماً تأثرياً من وزن (مونيه) أو (رينوار)
لأخرجت ألوان الباستيل فى هذه اللحظة بالذات
لأقتنص تعبير الوجه والإضاءة وكل شىء .

ترى هل انتهت من المهمة ؟

هنا رفعت رأسها ببطء ، وقالت بصوت واهن :

- « هل من مكان آخر ؟ »

نظر (سينوريه) إلى العقيد ثم لى وقال :

- « ليكن .. اعتقد أن مقبض الباب .. »

دون أن يكمل عبارته اتجهت إلى المقبض وأمسكته
بيدها اليسرى ..

★ ★ ★

- « اقترح أن تضعوا الشيء فى اليد اليسرى ، لأن
الطاقة تدخل الجسم من الناحية اليسرى وتغادره من
الناحية اليمنى .. »

★ ★ ★

- « علينا أن نتذكر أن الروى التى رأيناها قد لا تكون
بهذا الوضوح .. قد لانفهمها الآن .. قد لانفهمها
للأبد .. لكنها العلامة الأولى على أن حواسنا تتفرض
عنها الصدا .. سنواصل العمل ولن نثبث .. »

★ ★ ★

وقفت (برنات) صامتة بينما نحن ننظر لها
منتظرين ..

- « وبعد ؟ »

لم ترد .. بدا أنها تركّز تفكيرها بشدة ..

- « (برنات) .. وبعد ؟ »

هنا رفعت رأسها كأنما أفاقني من حلم ، وقالت :

- « في الحقيقة اعتقد أنني فشلت ، لا أرى شيئاً .. »
عدت أسألها :

- « ولا حتى شكلاً ضبابياً غير مميز ؟ »

قالت في هدوء وهي تنظر إلى يديها :

- « ربما كان شخصاً ملثماً .. لست واثقة .. كان
هناك شخص ملثم على الأرجح .. »

بخيبة أمل مغلقة باللفظ ، قال (سينوريه) :

- « ليكن .. لنقل إذن إن اللص كان ملثماً .. »

- « يبدو هذا . »

قال (مودابكيئا) في لحظة :

- « هذا لا يجعلنا نتقن لحظة .. قلت لك يا بروفسور
إني لا داعي لإضاعة الوقت .. »

- « لم نخسر شيئاً على كل حال .. »

وابتسم لنا (سينوريه) وقال وهو يعاود
الجلوس :

- « يمكنكما العودة .. شكراً .. »

هزئت رأسي وغادرت الغرفة مع (برنادت) ..

كان الليل قد دنا ، وأدركت أننا سننام على الفور
دون كلمة أخرى .. لقد كان يومنا مرهقاً ..

★ ★ ★

9 - نيرويس من جديد ..

فى الصباح كان أول ما وجدته هو خطاب من
(بوريس سيماكوف) ..

من الواضح أن هناك من كتبه له لأنه يأتجليزية
ممتازة حقاً .. وقد فتحته ملهوفاً ، وكانت (برنات)
وقتها تعد بعض الشاى لى فى البراد الكهربى الذى
ابتعاه من كينيا .. لانتس أن هؤلاء الغربيين لا يشربون
الشاى كما نشربه نحن ، بينما القهوة عندهم تشبه
الماء .. فى كل لحظة وكل وقت .. وهى قهوة لا تمت
لقهوتنا هى الأخرى .. بل هى أقرب إلى حساء
الأحذية .. وقد احتاج الأمر إلى فترة حتى علمتها
طريقة الشاى المصرى القوى زكى الراحة ..

قلت لها فى لهجة انتصار :

- « هل تصورين ؟ خطاب من الروسى المخبول ! »

ثم قضت الخطاب ورحلت اقرأ بصوت عال :

« عزيزى علاء .. عزيزتى برنادت ..

- « كيف حالكم يا شباب هناك ؟ قلت لكما إننى احتفظ بالحق كاملاً فى أن أطلب أى واحد لاستكمال نتائج البحث .. ولما كنت قد شعرت بأن (نيروبي) رافقت لكما ، فإتنى لن أشعر بكثير من تأنيب الضمير لو طلبت منكما أن تعودا إلى معملنى بالجامعة .. أعرف أننى تلقيت الكثير من اللعنات فى الآونة الأخيرة ، لكنى مطمئن على الأقل إلى انكما لستم من لاجئى ..

- « سأكون بانتظاركما فى أى وقت ابتداء من الاثنين .. أى بداية الأسبوع القادم ..

« بإخلاص : ب . سيماكوف »

كانت لهجة الخطاب بعيدة عن الصيغة الرسمية التى توقعها ، وقد قلت هذا لـ (برنادت) مضيقاً إن الروسى العجوز يعرف كيف يمزح على ما يبدو ..

- « فى البدايه شعرت بأنى أمقته .. ثم بدأت
أستريح له .. »

لم ترد فقلت أقول :

- « هذه جاءت فى وقتها .. أراهن على أننا سنعصى
الوقت فى رحلات مسليه ، إلى أن يأتى وقت العودة
إلى دارنا .. هذا يروق لى .. »

من جديد لم ترد .. فقلت :

- « هل تشربين بعض الشاى معى ؟ »

- « لا .. »

- « إذن قهوة ؟ »

- « قلت لك لا .. »

شعرت بخجل من تبرمها .. فى الواقع هى ثقيلة للظل
اليوم .. إن متحناها النفسى فى الحضيض كما هو
واضح .. لدورة النفسية والجسدية والعاطفية لها لحظات
تصل فيها الذروة ولحظات تصل فيها إلى الحضيض ..

قلت لها :

- « لماذا لا تردين ؟ »

- « لقد رددت .. قلت لك لا . »

- « (لا) فقط ؟ هذا ما يسمونه الكلام بالقطارة ..
أنت تعطين الردود على قدر الأسئلة بالضبط .. لا تضيفين
تعليقاً ذكياً ولا مرحاً ولا أى شيء .. »

صاحت فى عصبية وهى تضع كوب الشاي أمامى :

- « لكنى أردت .. لا تتوقع أن أقف على يدي وأؤدي حركة
(أكروبات) تعبيراً عن انبهارى بكلامك .. »

عدت للصمت .. واحمرت أثنائى على الأرجح لأننى
شعرت بهما كقطعتين من الفحم على جانبي رأسى ..
وللحظة كرهتها لأنها جعلتني أكره نفسي .. ثم بدأت
شرب الشاي ونسيت الأمر برمته ..

على أثنى لمحت وجهها فأدركت أنه متخف متدرن
كالقنقاس .. وثمة بطناً صفدعين تحت عينيها ..

أما أنفها فأشبهه بشجرة كرز كبيرة .. من قال إن هذه
الفتاة جميلة ؟

- « ألم تنامي أمس ؟ »

- « نعم »

- « ولماذا ؟ »

- « من حقى ألا أنام إذا أردت .. »

تباً لهن ! يعرفن جيداً كيف يجعلننا نبدو كأطفال
سخفاء مزعجين .. بينما هن ! هن المشغولات بعظائم
الأمور المهمومات بمصير البشرية ذاتها .. هن
اللاتى يملكن شهوة إصلاح العالم ، ويعرفن أسرار
الرياح وما يقوله الليل فى أغنيته الحزينة ..

هذه هى الحقيقة .. (برنات) امرأة .. وكنت قد نسيت
هذا .. امرأة تقضب بلا سبب وتثور بلا مبرر .. ولها
تقلباتها النفسية العاصفة التى لا يمكن فهمها ..
« المطر يهطل دائماً بعد العواصف » .. هذه قالها
(سقراط) لتلاميذه حين سكبت زوجته وعاء الماء
القدر على رأسه بعد غضبة غير مفهومة ..

(برنانت) امرأة وكنت قد نسيت هذا ، حين حسبتها
قطعة من الذكاء الأنثوى الحساس الذى لا يخطئ ..
والواقع أن هذا الذكاء - على ما اعتقد - لم يوجد
إلا فى مخيلة الحمقى ..

كانت هذه تجربتى الأولى مع عاصفة كهذه ، لهذا
نهضت من دون كلمة وارتديت المعطف عازماً على
ألا أعود للغرفة إلا حين تحترق النجوم وتجف
المحيطات ..

★ ★ ★

فى الأيام التالية القليلة ازداد الأمر سوءاً ..

كانت لا تنتظر لى على الإطلاق وترد بكثير من
الشح .. وهى طريقة تجيدها النساء كى يصبتنا
بالجنون .. أنت لا تستطيع اتهامها بأنها لا ترد
عليك ، لكنك كذلك لا تشعر بأنها ردت ..

وكان وجهها فى كل صباح يذكرك بضدع مصاب
بسرطان لمفاوى .. من الجلى أنها لا تنام أو تنام بهصر
بالغ .. وقد فشلت كل محاولتى لفهم ما يضيقها ..

هل هو الحمل ؟ وارتجفت لهول الفكرة .. ما زلت
أعتبر نفسي طفلاً ، فكيف أصبح مسؤولاً عن طفل ؟!

سألتها عن ذلك ، فقالت في سماجة :

- « ربما .. كيف لي أن أعرف ؟ »

قلت في غيظ :

- « يا سلام ! أنت طبيبة وقبل هذا كله امرأة .. لا توجد
هرة في زقاق تحترم نفسها لا تعرف إن كانت حاملاً
أم لا . »

- « أنا لست هرة في زقاق .. »

وهكذا انتهت المحادثة عند هذا الحد ..

وخطر لي أن الإسراع بالسفر إلى (نيروبي) قد
يحسن الأمور قليلاً .. لا بد من بعض التغيير ..

وفي الصباح دخلت مكتب المدير ، واتجهت إلى
السكرتيرة (جين) التي كانت منهمة في الكتابة على
منسق الكلمات ، وشعرت بي فرفعت عينها تحوي
وهتفت :

- « رياه ! أنت فى أسوأ حال ! تبدو مثل .. مثل .. »

وفكرت بحثاً عن تشبيه ، ثم قالت :

- « تبدو كضفدع مصاب بسرطان لمفاوى ! أو ربما

مثل درنات القلقاس ! »

أشعر بأئنى سمعت هذا للتعبير من قبل .. ولكن

أين ؟

ومدّت يدي لأشرب جرعة كبيرة من كوب قهوتها

وغمغت :

- « أنت تعرفين أن القهوة مفيدة لمرضى للجذام ..

هل المدير موجود ؟ »

ودون أن تنتظر ردها افتحت المكتب ..

كان المدير منهمكاً فى محادثة هاتفية .. فانتظرت

حتى أنهاها ، وابتلعت فى صبر رأيه المبتكر فى أن

وجهى صار يشبه القلقاس .. ثم أخبرته أننا نريد

الذهاب إلى (نيروبي) بأسرع ما يمكن ..

« هل من أخبار جديدة عن القتل ؟ »

قال في ملل ، وهو يفرك عينيه :

« لا أخبار .. ماذا تتوقع ؟ قاتل لم يره أحد ويرتدى قفازات ، ولم يسرق شيئاً .. ثم إن رجال الشرطة هنا ليسوا بالضبط رجال (سكوتلانديارد .. باختصار لا يوجد أى خيط .. إن هذه القضية ستحفظ على الأرجح .. »

ثم مد كفه المفتوحة لى .. غريزياً مددت يدي لأتلقى ذلك الشيء فى كفى .. كان قفازاً من الصوف مطوياً كما تطوى الجورب ..

قال وقد فهم حيرتى :

« وجدته عامل النظافة فى سلة المهملات الموجودة خارج المكتب .. واضح أن القاتل تخلص منه بمجرد الخروج كى لا يلتفت الأنظار .. هذا هو المبرر الوحيد لوجود هذا القفاز هنا حيث لا توجد أقسام طبية فى هذا الجزء .. لقد انتهت الشرطة من فحص كل شيء فلن يفيدهم أن يجدوا هذا .. »

قلت وأنا أمسك القفاز في توتر :

- « لكن .. البصمات ؟ إنها قد ؟ »

- « بصمات على قفاز من صوف ؟ إن الرجل اختاره
لهذا خصيصاً .. »

شعرت بالفعل بأن القفاز قد صار ثقيلاً في يدي
من قرط أهميته الرمزية .. لقد كان يلف يدي قاتل ..
ولا أدرى لماذا بسببه في جيبي .. كأنه ذكرى لا يجب
أن تزول .. ثم غيرت الموضوع ..

- « وقائمة المشتبه فيهم ؟ الذين يعرفون بوجود
ذلك الشيء الثمين في مكتبك ؟ »

نظر لي في حيرة بعض الوقت ، وهتف :

- « أنت لا تعرف أن هناك شيئاً في مكتبي .. »

- « أنت قلت لي صبيحة الجريمة .. »

قال في توتر :

- « على كل حال لم يعد هنا .. بالمناسبة كل من

يعرفون بوجود هذا الشيء لديهم حجة غياب Alibi قوية .. »

طبعاً لم أخبره أنني أعرف - تقريباً - كنه هذا الشيء .. مشكلته أنه ينسى ، ومشكلتي أنني لا أذكر ما كنت أفعله وقت الجريمة .. ليست لدى حجة غياب وهذا قد يجلب على رأسي تعقيدات لا داعي لها .. هذا لن يعطل العدالة كثيراً مادمت أعرف جيداً أنني لست السارق ولا القاتل ..

يقولون في القصص البوليسية إن عدم وجود حجة غياب قد يكون أدل على البراءة .. أما القاتل الحقيقي فيحرص على أن يحتفظ معه بتذكرة سينما لحفل يعرض في أثناء الجريمة .. يحتفظ بمحضر شرطة لمشاجرة في أثناء الجريمة .. يوقع في سجل زوار المتحف ساعة الجريمة .. يأتي بعشرة شهود يقسم كل منهم إن المتهم كان معه ساعة الجريمة ... باختصار أن حجج الغياب التي لا تدحض قد تدل على التهمة أكثر مما تنفيها .. بينما البريء يتصرف ببساطة وسذاجة من لا يتوقع سوءاً ..

قلت لـ (سينوريه) من جديد :

- « الآن هل تسمح لنا بالسفر ؟ »

قال وهو شارد الذهن تمامًا :

- « كما تريدان .. »

★ ★ ★

هذه المرة لم يكن هناك الجو المرح المطلق الذي
ميز رحلتنا السابقة إلى (نيروبي) ..

لقد كانت (برنات) شخصًا آخر ..

في ليلتنا الأولى رقدت في الفراش في غرفة
الفندق ، ونمت أو تهيأت للنوم ، ولكن خواطر حياتي
راحت تنفص على من حين لآخر .. وكانت
(برنات) بالطبع تنام في الطرف الآخر من
الفراش .. عند أبعد نقطة يمكن للمرء أن ينام فيها ..
وكانها مضطرة لأن تشارك ظريباتاً قرأته لمجرد أن
النوم على الأرض أمر غريب نوعًا ..

سمعتها تنهض .. سمعت أنفاسها .. سمعتها
تحاول استنشاق المخاط الذي يوشك على أن يسيل
من طاقتي أنفها .. إنها تبكي !

هي ذى تقترب .. هي ذى تجلس جوارى .. هذا هو
الوقت المناسب .. ستهمس لى معترفة بكل شيء وهي
مطمئنة إلى أنى لا أسمع .. ستقول أشياء على غرار
سامحنى يا (علاء) .. أنا أحبك كثيرا ولكن

ولكن هذه هي ما أبحث عنه : « ولكن أنا أحب
شخصا آخر .. »

أو « ولكن أنا لا أحب الفاصوليا مثلك .. »

أو « ولكن رائحة جواربك تنغص حياتى .. »

أو « ولكن إصابتك بالسرطان التى أخفيها عنك
تجعل الحياة صعبة .. »

أو « ولكن إصابتي بالسرطان التى أخفيها عنك
تجعل الحياة صعبة .. »



هي ذي تقرب .. هي ذي تجلس جوارى . هذا هو الوقت
المناسب !..

أو « ولكن أنا أكره خالتك جداً .. »

المهم أن أظاهر بالنوم وأصغى جيداً .. كنت أفضل يوماً في خداع أمي حين أظاهر بالنوم الصيق في وقت المدرسة ، خاصة في يرد الشتاء والأمطار تنهمر بالخارج ، وكانت تدنو بوجهها من وجهي وتصغى بخبث لأفهامي .. ثم تأتي اللحظة .. لا بد منها .. لا بد من رجفة في ركن فمي أو حركة عصبية للجفنين .. عندها تطلق صيحة للتصر ، وتريح القطاء عني وهي تدغدغي بخشونة صائحة :

.. « لكنك متيقظ ! أنت متيقظ ! أيها الخبيث ! هلم ..

لن يفلح شيء في جعلى أتركك تنام .. »

الآن يجب أن أخدع (برتادات) .. يجب ..

جلست على طرف الفراش كما قلت .. ثم مدت يدها الباردة وأمسكت بيدي .. وكففت عن التنفس ..

كان تأثير هذا في الظلام غريباً ..

لماذا تفعل هذا ؟؟

★ ★ ★

— « علينا أن نتذكر أن الروى التى رأيناها قد
لا تكون بهذا الوضوح .. قد لانفهمها الآن .. قد
لانفهمها للأبد .. لكنها العلامة الأولى على أن
حواسنا تنفض عنها الصدا .. سنواصل العمل ولن
نبتس .. »

★ ★ ★

— « إن صاحب الموهبة يعرف ذلك الآن دون شك
وهذا يكفينى .. »

ثم أشار إلى (برنات) وقال :

— « هذه هى الأولى على الصفا .. هذا يكفى فى
الوقت الحالى .. »

★ ★ ★

إتھا تَحاول أن تَقْرأ ما بداخلی ! تَحاول أن تَتَشرب
لَا Anra من مسام جلدی !

ولكن لماذا ؟ لماذا ؟

هنا فقط لم أعد التحمل أكثر ..

نهضت من رقادی المزعوم صائحا :

- « والآن هل لي أن أفهم معنى هذا كله ؟ »

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

10- أنت .. أنت !

كانت اللحظات التالية هي مهرجان الدموع لو كنت
تفهم ماتعنيه ..

كانت جالسة على الأرض في العتمة متربعة
الساقين ، وقد غطت وجهها وراحت تبكي ..

صحت فيها في غضب وأنا أجلس جوارها :

- « هل لي أن أفهم شيئاً ؟ يبدو لي أنني الحمار
الوحيد في هذه المدينة .. »

أخيراً استطاعت أن تقول من بين دموعها :

- « إنه أنت .. أنت من قتل (داتيل كيثيراتا) !! »

- « لماذا يا (علاء) ؟ لماذا يا أحقى ؟ »

أمسكت بكتفها وهزرتها وقلت من بين أسناني :

- « لتكن واضحين يا عقل الحاجة .. أنا لم أقتله ..
وأنا واثق من هذا .. فهل يمكن أن تكفى عن هذه
الدموع البلهاء وتحديثني عن السبب .. حدثيني عن
الخرافة التي تسالت من ثقوب عقلك المريض ،
لتتسج نسيج العنكبوت هناك ، وتصنع هذا البيت
الهائل من التفاهات والسخف والغباء ! »

قالت من بين الدموع والشهقات :

- « كان كل شيء واضحاً لي من البداية .. منذ
أمسكت بالآلة الكاتبة رأيت بوضوح تام وجهك ، وقد
بدت عليه علامات الشراسة .. كانت أوضح رؤيا
رأيتها منذ عرفت للقياس النفسى .. حتى حين لمست
للمقبض رأيتك بجلاء كأنك فى صورة فوتوغرافية .. »
هزرتها أكثر ، فلو أنها كانت لبناً لتحولت إلى
قطعة جبن حالاً ، وقلت :

- « تشكين فى استنادا إلى هذا الهراء ؟ »

ارتجفت شفرتها السفلى وهمست :

- « ليس هراء .. ليس هراء .. دعوت الله كثيرا
أن أكون مخرفة .. لكنى أعرف جيدا أن حاسنى
لا تخيب .. لقد جربت نفسى واتضح فى كل مرة أننى
محقة .. »

ثم أضافت وقد بدأ المخاط يسيل من أنفها مما
جعل منظرها محبباً :

- « تذكر محادثتى معك عن لئال .. وعن الإغراء ..
لقد قابلت أنت امتحانك الخاص وفشلت فيه .. »

★ ★ ★

- « إن لئال يحل مشاكل كثيرة .. فكرى فى بيت ذى
حديقة فى أهدأ موضع من العالم .. فكرى فى بحر لا يبعد
إلا عشرين متراً .. فكرى فى نزهة فى (سنغافورة)
او الهند او البرازيل ، فكرى فى يخت خاص وطائرة
رياضية و ... فكرى فى أى شىء غير هذا السجن
الذى نعيش فيه .. إتنى بشكل ما أفهم (ستيجوود)
حتى لو كان قد بالغ بعض الشىء .. »

« أَنْتَ تَعْرِفِينَ مَنْ لَيْنَ يَلْتَمِسُ الْفُضُولَ وَالْمُخْتَلِسُونَ
وَالْقَتْلَةَ ! إِيَّاهُمْ مِنْ بَيْنِنَا .. إِيَّاهُمْ نَحْنُ ! هَؤُلَاءِ
أَشْخَاصٌ وَجَدُوا الْفُرْصَةَ كَامِلَةً فَأَدْرَكُوا أَنَّهُمْ أَوْعَفُ
مِمَّا تَصُورُوا .. أَدْرَكُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا قَطُّ شَامِخِي
الْأَخْلَاقِ كَمَا حَسِبُوا .. »

« لَا تَدْخُلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ ، وَلَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشَّرِّيرِ .. »

كُنْتُ الْآنَ أَرْتَجِفُ أَنَا نَفْسِي ..

مِنَ الْحِمَاقَةِ أَنْ يَكْلِمَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ أَمَامَ النَّسَاءِ ..
مِنَ الْحِمَاقَةِ أَنْ تَتَفَلَسَفَ وَتَسْتَعْمَلَ الْمَوْضُوعِيَّةَ مُعْتَقِداً
أَنَّكَ تَحْدِثُ صَدِيقَكَ الْفِيلَسُوفَ .. هَذِهِ النِّقَاطُ سَوْفَ
تَسْتَعْمَلُ ضِدَّكَ يَوْمًا مَا ..

قُلْتُ لَهَا وَأَنَا أَجْلِسُ مَرَهَقًا عَلَى الْأَرْضِ :

- « هَلْ هَذَا دَلِيلٌ كَافٍ بِرَأْيِكَ ؟ »

- « لا تنس أنك تعرف الشيء الذى كان فى مكتب المدير .. بل وهمست لى بالحروف الأولى منه .. إنها تلك المجموعة باهظة الثمن من دبابيس الراديو فى صندوقها الرصاصى .. لقد خشى الرجل أن يتركها فى أى موضع من (سافارى) إلا فى مكتبه شخصياً .. لا تنس أن أى لص عادى لا يعرف قيمة شيء كهذا ، فلن يسرقه إلا شخص يعرف ما يفعله .. »

- « وهذا فى رأيك دليل كاف ؟ »

- « لماذا غادرت غرفتنا فى الثانية صباحاً ولم تعد إليها إلا فى الثالثة والنصف ؟ »

- « ذهبت لى قسم الطوارئ لأجلس مع (هوفمان) قليلاً .. ليست هذه المرة الأولى .. أحياناً اشعر بأرق بينما تغطين أنت فى النوم كالدب القطبى .. »

- « من سوء الحظ أننى لم أكن دُباً قطبياً وقتها ! »

- « إذن أنا ذهبت للسرقة والقتل ، ثم عدت الى غرفتنا لأنعم بنوم هادئ .. »

- « هذا ما يبدو لي .. »

هنا كنت قد فقدت القدرة على الجلوس فرقدت
على ظهري ناظرًا للسقف برغم أن الظلام كان شبه
دامس .. وقلت لها :

- « هل تجدين أن ما قلت كاف لاتهامي بالقتل ؟ »

- « غير كاف .. وإن تقبله أي محكمة .. لهذا لم
أتكلم .. لهذا طويت صدري على السر الرهيب .. لكنني في
محكمة وجدائي .. وجدتك مدانًا بالجرم المشهود .. »

ساد الصمت لبضع دقائق ..

ثم إنتى تهضت فجلست على الفراش في وضع
الاحتباء ، وقلت ضاعطًا على كلماتي :

- « لقد أصغيت لكل كلمة مما تقولين .. ولا تهمني
حججك لأنني أعرف من أنا جيدًا .. أنا لم أقتل الرجل
ولم أحاول السرقة .. لكنني سأحل الأمر حين نعود
إلى (سافاري) .. أولاً سأسلم نفسي للشرطة وأخبرهم
بكل هذه (الأكلة) ضدّي كي يفتشوا عن الحقيقة .. »

رفعت رأسها في دهشة وهتفت :

- « أنت أحمق .. إنهم سيطيرون طرباً بك .. فهم بحاجة إلى أي منهم .. إن بضع صفعات ستجعلك مستعداً للاعتراف بقتل (يوليوس قيصر) نفسه »

- « أعرف هذا .. وبما أنك واثقة مما تقولين ، فلا توجد مشكلة .. سيلقى المذنب عقابه ..

واستقيت على القرش معلناً أنني راغب في التوبة لكنني واصلت الكلام : - - -

- « أما الخطوة الثانية فهي أن تنفصل .. ما دامت هذه الأفكار قد جالت في ذهنك ، بعد كل ما عشناه معاً ، فلم يعد مكانك في حياتي .. لقد انتهت قصتنا .. ويوسفني أنها كانت قصيرة جداً .. »

وأغمضت عيني ..

ليست (برنات) هي الوحيدة التي تجيد فن البكاء ليلاً .. لكن بعض قطرات الدمع على الوسادة لن تؤدي أحداً ..

وللمرة الأولى منذ زواجى شعرت بأننى وحيد ..
وحيد جدًا .. أى سخف اقتضى أن وحدثى انتهت وأن
لى شريك روح ؟ نعم أنا وحيد ما دمت بعيداً عن لى
وأهلى .. وحيد حقاً فى بلد غريب وسط أشخاص
يتكلمون بلغات غريبة ويأكلون أشياء أعرب ،
وليس فى هذه الشقراء التى هى زوجتى باستثناء ..

« تعالى لى يا امه » .. من السخيف والمضحك أن
أقول شيئاً كهذا ، لكننى ظلت همساً أردد هذه العبارة
حتى غبت عن الوعي ..

- « ولكنكما تبدوان لى فى أسوأ حال ! »

قالتها المترجمة عن البروفسور (سيماكوف) الذى
راح ينقل عينيه بيننا فى حيرة ..

كنا جالسين على مسافة خمسة أمتار لانتبادل حرفاً
واحداً ، وقد قطب كل منا جبينه وشفتيه وكل شيء
فى وجهه .. لقد مرت علينا ساعة كاملة فى المختبر
دون أن تظهر علامة واحدة على المرح ..

قلت له في وجوم :

- « هذا لطيف منك .. »

قال وهو يعقد كفيه :

- « الحقيقة أنتى لاحظت فى المرة السابقة أنكما زوجان متحابان إلى أقصى حد .. وقد خطر لى أن أجرى بعض تجارب السايكومتري التى تستند إلى وجود عاطفة قوية بين الموضوعين .. لكن .. فى الواقع .. لا أدري لماذا أشعر ببعض القلق بصدد صحة هذا الفرض .. »

قالت (برنات) بوجه متصلب كالصخر :

- « لاشيء من هذا القبيل .. نحن فى أحسن حالاتنا العاطفية .. أليس كذلك يا (علاء) ؟ »

قلت بوجه أكثر تصلباً :

- « بلى .. بلى .. سنموت عشقاً لو زاد الأمر على هذا .. لنقل إننا نجيد إخفاء عواطفنا .. »

نظر لنا في شك ، كأنما يقول :

- « ليكن .. ليكن .. ربما أنا أحمق .. »

وبدا يحاورنا حواراً طويلاً مملاً لا أذكر منه شيئاً ..

بعد قليل اعتذرت (برنات) لأمر ما ، وانصرفت على حين بقيت مع الرجل والمترجمة .. هنا بدأ كأنما وجد الفرصة سانحة أخيراً فسألني بكلماته الروسية المميزة المفعملة بالراء :

- « والآن .. ماذا حدث حقيقة ؟ هل تم استبدالكما ؟ »

قلت له في ضيق :

- « هذا السايكومترى الذى اخترعته أنت .. لقد دمر حياتنا ؟ »

راح ينظر لى فى اهتمام خارق للحواس ، ثم سألنى :

- « كيف ؟ »

نظرت للمترجمة التي ترمقتي في فضول .. بدا لي
من السخف أن أتكلم عن سرفي وجود مترجم ، ثم
قررت أن اعتبرها كما هي فعلاً .. آله ترجمة
لامشاعر لها ولا خطر منها .. ولا أدرى متى بدأت
أحكي القصة كاملة ..

* * *

عادت (برنات) فتوقفت عن الكلام ، لكن الرجل
قال بصوت عال :

- « تعالى ياكتورة .. إن للقصة التي يحكيها زوجك
غريبة حقاً .. »

أدركت على الفور موضوع كلامنا فقالت في برود
وهي تتخذ مقعداً ، وترج نفسها على ظهر مقعد آخر :

- « إنها كذلك .. »

أردف الرجل ضاحكاً :

- « ليس ما تقولين دليلاً على شيء .. أنت لم تصلي

لهذه الدرجة من الخبرة بعد .. أنت موهوبة لكن ما من رجل شرطة يمكن أن يقصدك طالباً رأيك .. تحتاجين إلى عشرة أعوام من التركيز إلى أن تصلى لهذا المستوى .. »

قالت فى حزم :

- « لكنى رأيت .. رأيت .. وهذا كاف بالنسبة لى .. »

ثم أردفت :

- « لقد شخصت حالتين مرضيتين غامضتين بمجرد إمساك يدي المريضين .. إننى بالفعل أملك الموهبة .. وحين أمسك بسلاح الجريمة فأرى وجه زوجى .. حسن .. ألا يعنى هذا شيئاً ما ؟ »

- « يعنى ألف شيء ما .. »

ثم أشار لنا كى ندنو منه .. وضع يده اليمنى على عنقى ويده اليسرى على عنقها وقرب رأسينا ، حتى إننى توقعنا أن يضرب رأسينا ببعض على سبيل المزاح

كما كنا نفعل في المدرسة .. أليس اسم هذه الضربة
(روسية) والرجل روسي ١٩

لكنه قال همسًا بالإنجليزية ومن دون المترجمة :

- «دعاني أأكل لكما شيئًا مهمًا .. لقد قلت لكما
إتني لا أجيد فن (السايكومتري) .. ألم أأكل هذا ؟»
قلت :

- «بلى .. وقلت إن أستاذ الأكب ليس بالضرورة
شاعرًا جيدًا ..»

ابتسم وهمس :

- «حسن .. كنت أكذب !»

11- فى السجلات الاكاشية ..

قال (بوريس سيماكوف) بالانجليزية حين جلسنا
إليه فى صباح اليوم التالى :

- « لاحظتُما أنتى بدلتِ بإجراء بعض الفحوص على
الدكتورة (عبد العظيم) .. لقد قمت بأخذ عينة من
دمها وبولها .. إتنى راغب فى الاطمئنان إلى صفائها
الجسدى أولاً .. وهذا شىء روتينى على كل حال ..
لكن هذا ليس كل شىء .. »
وفكر قليلاً ثم أضاف :

- « السؤال الأهم الآن .. هل لدينا شىء يمت لمسرح
الجريمة بصفة ؟ »

تبادلت النظرات مع (يرتانت) ربما للمرة الأولى ..
هذا سؤال سخيف .. فالمرء لا يمشى حاملاً جزءاً من
مسرح الجرائم التى يقايلها .. وعلى كل حال هذه
الأشياء تخص رجال الشرطة ..

هنا مدت (برنات) يدها في حقيبتها الصغيرة ،
وأخرجت شيئاً ..

قالت وهي تلوح بالقفاز :

- « هذا كان مستعملاً في الجريمة .. أنا متأكدة ! »

ثم نظرت إلى وقالت بنفس الطريقة الباردة
كالثج :

- « نسيت هذا الدليل الجديد .. كان في جيبك ..

وجدته وأنا أعد لسفرنا إلى (نيروبي) ! »

- « هذا طبيعي .. المدير نفسه قد أعطانيه .. »

لم ترد وتاولته لـ (سيماكوف) .. وضعه في يده

اليسرى ، وراح يعصره في تهم بضع دقائق .. كأنما
يستنطقه أسراراً غاية في العذوبة ، ثم سألها :

- « هل جربت السايكومتري عليه ؟ »

- « لا .. لم أختل بنفسى قط منذ وجدته .. »

بدأ يتكلم بالروسية هذه المرة ، وكانت المترجمة

تحاول بصعوبة اللحاق بكلماته السريعة .. حتى إنها
سعلت من فرط ما ابتلعه من دخان التبغ ..

- «دعاني أحدثكما الآن عن شيء ألمحت إليه فيما
سبق ، لكني لم أشرحه بالتفصيل .. كل وسيط يعرف
ما هي للسجلات الأكاشية .. إنها - فيما يقال - نظام
ملفات كوني يسجل كل شيء وكل كلمة وكل فعل ..
ويتصرف كالعقل الباطن في احتوائه على ذكريات
لا يمكن نسيانها .. هكذا قال (فرويد) مراراً .. العقل
الباطن يذكر كل شيء .. من مذاق أول رضعة
أخذتها ، وحتى عدد درجات السلم الذي صعدتما فيه
إلى هذا المختبر .. »

« يزعمون أن الأحداث تطبع على مادة تسمى
(أكاشا) .. ويزعمون أنه من الأكاشا ولدت العناصر
الأساسية كالنار والهواء والأرض والماء . طبقاً لهذا
كلام فلسفي لا أساس له من الصحة .. أحياناً
يسمونها (العقل الكوني) أو اللاوعي الجمعي .. »

« هناك من يعتقد أن هذه السجلات قابلة للقراءة
في مراحل من الوعي كالنوم والتأمل . ويعتقد
اليوجيون أن هذه السجلات يمكن البحث فيها في
حالات معينة من الترفاتا .. »

قلت له في ضيق :

- « وما علاقة هذا بكلامنا ؟ »

- « أنا سأدخل السجلات الأكاشية لمعرفة كل شيء
عن صاحب هذا القفاز .. »

قلت له :

- « فهمت أنك لا تصدق بوجود هذه السجلات .. »

- « أصدق بوجودها يا بني .. لكنى لا أعرف لها
تفسيراً .. هذا فارق واضح .. »

ثم مد يده إلى المحقق وناولني إياه بعد ما استوثق
من جرعة السائل به ، وقال :

- « هذا هو (بنتوثال الصوديوم) .. ليس الأمر

متعلقًا بمصل الحقيقة ، لكنى بحاجة إليه كى أصل
إلى حالة شبيهة بحالة (النرفانا) .. سيكون سباتى
مزيجًا من النوم والوعى وفقدان الإرادة .. ستحققنى
به وريدًا ببطء .. أنت قلت لى إن عندك فكرة جيدة
عن التخدير »

ابتسمت ابتسامة مريرة بمعنى أن هذا التشكك
إهانة ..

نزع قميصه ليجلس عارى الجذع ، وبدأ يوصل
الأقطاب إلى صدره ..

توت ! توت ! توت !

قال لى وهو ينظر إلى شاشة المرقاب
(مونيتور) :

« ماامت تعرف التخدير فأنت قادر بالطبع على
ملاحقة هذا المرقاب .. لو لاحظت اضطرابًا طبيعيًا
أو تسارعًا فى ضربات عليك أن تتصرف طبقًا
لهذا .. »

نظرت إلى المنضدة التي تراصت عليها زجاجات
(الفيراباسيل) و(الليدوكاين) و(البروبراتولول) ،
كأنا في عناية مركزة .. مع قناع أكسجين صغير ،
وجهاز (أمو) المخصص للتنفس الصناعي .. وشعرت
بأننى بحاجة إلى عناية مركزة أنا نفسى ..

رأى قللى فابتسم وقال :

- « هذا لا يحدث عادة .. لكن تجربة دخول السجلات
الإكاشية ليست هيئة أبدًا .. لهذا لم أمارسها
إلا مرتين في حياتى .. هذه هى المرة الثالثة .. »

قلت له فى عصبية :

- « اسمع .. لماذا لا تجرب مواهبك فى لقياس
النفسى ؟ »

- « إن ما سأقوم به أشد دقة بلا مجال للخطأ
الشخصى .. كأنتى أركب آلة الزمن قائمًا برحلة إلى
الماضى .. لقد تعلمت هذا من أحد البوجيين »

ثم التفت إلى المترجمة التى كانت تدخل فى
عصبية ، وقال :

- «وأنت يا (كاتيا شلوندورفنا) .. لا أريد أن تفوتك
كلمة واحدة .. طبعاً من الواضح أنني سأتكلم بالروسية ..»
هزت رأسها أن نعم ..

من ثم أمسك بالقفاز الصوفى في يده اليسرى ،
واغمض عينيه ، وأخذ شهيقاً عميقاً واسترخى في
المقعد . وقال لى :

- «أبدأ يا بنى ..»

ربطت (التورنيكيه) حول ذراعه ، وأولجت القنّاة
الوريدية في وريد مناسب ، ثم تناولت المحقن ..
وبدأت الحقن ببطء .. لم يكن حساب الجرعة مشكلاً
بل مشكلته هو .. لأننى لو قللت الجرعة لما حدث
شئ ، ولو زدتها لدخل في نوم عميق ..

توت توت توت توت

قال وهو مغمض العينين :

- «الآن أرجوكم الصمت .. خفضى الإضاءة

يا (كاتيا شلوندورفنا) ..»



ثم تناولت الحقن . وبدأت الحقن ببطء . أم يكن حساب
الجرعة مشكلتي بل مشكلته . . .

وبدا يهوم برأسه كأنما يحاول تبين شيء
عسير ..

وساد صمت رهيب ..

أخيراً راح صوته يتعالى متكلماً بالروسية بينما
المترجمة تحاول اللحاق به بصوت خفيض :

- « إننى اخترق السجلات الأكاشية .. أفتح صفحات
لا وجود لها .. أنا أعبر المسافات إلى (بورو) ..
(سفارى) .. أعبر الأزمان إلى هذا القفاز .. هانذا
أرى المشهد بتفاصيله .. »

وصمت وابتلع ريقه .. فأشعلت المترجمة لفافة
تبغ .. ثم عاد يتكلم :

- « هناك صندوق يحوى مجموعة من الأجهزة
البلاستيكية التى تدخل فى جراحات القلب .. هذا
الرجل يعلم .. هذا الرجل يريد .. هذا الرجل أسود
البشرة وله جرح على خده .. إنه يدخل الغرفة
ويبحث وسط الأشياء .. هناك من يدخل .. مهلاً !

يطلق الكشاف .. يتربص ويحبس أنفاسه إن رجل
الأمن يبحث عن الضوء .. لسوف يراه ! لسوف
يقبض عليه .. ارفع الآلة الكاتبة الآن .. ثقيلة ؟ نعم ..
هذا يعنى أنها ستكون ثقيلة على رأس الرجل ..
ارفعها .. اهو بها .. لقد سقط ! لقد تهشم رأسه .. »

توت ! توت ! توت !

وبدا إيقاع كلامه يتسارع .. ومعه إيقاع ضربات
القلب على المرقاب ..

- « اهرب ! لاجدوى الآن من مواصلة البحث ! حتى
لو ظفرت بما تريد فلا جدوى .. لن تستطيع أن تخفى
هذه الأشياء .. اهرب .. إنه موت عبنى لاجدوى
منه .. لكن بوسعك أن تنقذ نفسك على الأقل .. آه !
رجلك تؤلمك .. يبدو أن الآلة الكاتبة قد هوت على
أصابعك بعد ما هشمت رأس الرجل .. »

توت ! توت ! توت !

الإيقاع يتسارع ..

توت ! توت ! توت !

- « إن .. إن الأمور .. تسوء .. إن »

ثم كفت المترجمة عن الترجمة .. فقط راحت تتكلم
بالروسية المذعورة بدورها .

هنا صاحت (برنات) فى رعب :

- « (علاء) ! إن شفتيه ازرقتا ! »

توت ! توت ! توت !

وعلى الشاشة راحت ضربات القلب تتوالى على
شكل تسارع ضربات فوق بطيني .

انترعت نفسى من الدوار ، وأمسكت بمحَقَن وملاكنه
بالبرويراتولول .. ثم حقنت به الرجل ببطء وأنا
أراقب المرقاب .. على حين قامت (برنات) بتثبيت
قناع الأوكسيجن ..

توتوتوتوتوتوا

يا للكارثة ! هل نفقد الرجل ! هل يغيب للأبد وسط
تلك السجلات الأكاشية ، كأمين مكتبة ضاع وسط
الأوراق المغبرة المتراكمة ؟

توت توت توت !

بدأ القلب يهدأ .. وبدأ اللون الأحمر يعود لوجه
الرجل ووجوهنا ..

فى النهاية فتح عينيهِ وهمس بصوت واهن بشيء
بالروسية ، فقالت المترجمة :

« إنه يسأل إن كان أجاب عن سؤالك ؟ »

نظرت إلى (برنات) وقلت فى تعب :

« نعم ياسيدى .. لقد أجبت على السؤال .. »

★ ★ ★

جلس (سيماكوف) فى الشرفة يشرب عصير البرتقال
ونحن نجلس حوله نرشف كلماته بدلاً من البرتقال ..
ما زال منهكاً بعد تجربة أمس لكنه راض ..

قلت له :

« ولماذا تتكر يوماً أنك تملك قدرات الإبرك الخارق

للحواس ؟ »

- «أحب أن أدارى بعض الأوراق فى كسى .. ثم
إن العلماء لن ينظروا لى النظرة ذاتها لو عرفوا ..
سيتعاملون مع أبحاثى وقتها على أنها (الهراء الذى
يكتبه المخرف الروسى العجوز) »

فكرت قليلاً ثم سألته :

- « إذن (برنات) كانت مخطئة .. كيف استطاعت
تشخيص الحالات المرضية إذن ؟ »

تحدث إلى المترجمة فقالت لنا :

- « الدكتورة (عبد العظيم) لم تصل بعد إلى هذه
الدرجة من الشفافية .. إنها جيدة لكنها كما قلت تحتاج
إلى عشر سنوات كى تصل إلى مستوى تشخيص
الأمراض باللمس .. إن ما حدث وقتها هو أن الطبيبة
فيها هى التى تكلمت .. ومن الجلى أنها طبيبة بارعة ..
حين جلست أمام المريض فكرت فى الشئ الوحيد
الذى لم يفكر فيه من سبقوها وأصاب حدسها .. لنقل
إن الطب يحتاج إلى نوع خاص من الحدس .. نوع
من الحاسة السادسة .. وهى تملك هذه القدرة .. »

قالت (برتادات) :

- «لكن الرؤيا كانت جليلة فيما يتعلق بـ (علاء) ..
جليلة إلى حد لا يوصف ..»

قال في ثقة :

- «لنقل إن ظروفك لم تكن تمنحك ما هو أفضل ..
لاحظي أن د. (عبد العظيم) دخل الغرفة مراراً ولمس
الآلة الكاتبة مراراً .. ثم إنك تحملين جزءاً من الـ Aura
الخاصة به ذلك ، وهذا يجعل الأمور تختلط عليك ..
لا يمكن استقبال الـ Aura من الخارج ومن الداخل في
الوقت ذاته .. الأمر شبيه بأن أسمع صوت هاتف ،
فلا أعرف إن كان هاتف داري أم هاتف الجيران ..»

أخرجت قلماً ورحلت أدون به أفكارى :

- «رجلنا أسود البشرة .. له جرح على خده ..
ويعرج قليلاً بسبب سقوط الـ»

ثم نظرت إلى (برتادات) وهتفنا في صوت واحد :

- «(مارسيل) !!»

قال البروفسور وهو يرشق بعض العصير :

- « أفترض أنكما عرفتما شخصًا مناسبًا .. »

- « نعم .. إنه موظف توريدات مهم في المستشفى ،

ولو جاء شيء كهذا لمكتب المدير لعرف على الفور ..

بالواقع لعرف قبل أي واحد آخر .. »

- « إذن ابحثا عنه واستطفاه .. »

كدت أنهض شاكرًا له ثم تذكرت شيئًا ، فقلت :

- « لحظة .. قلت إن (برنات) تحمل في دخلها

جزءًا من الـ Aura الخاصة بي .. هل تقصد الحب ؟ »

- « بل أقصد الحمل ! الحمل يا بني .. لقد أجرينا

اختبارًا للحمل ووجدناه إيجابيًا ! إن طفلك ينمو في

أعماقها ، وهذا يجعل صورتك حاضرة عند أول

محاولة للإدراك من جانبها .. نسيت أن أخبرك أن

الحمل يعطل الكثير من قدرات الإدراك السابق

للحواس .. ما بالك يا فتى ؟ لماذا تترنج هكذا ؟ »

12 - الخاتمة ..

لما عدنا إلى (سافارى) كانت ثُقوب كثيرة قد رتقت في جدار زواجنا الذى أوشك على أن يتمزق ..
قالت لى (برنادت) فى ذلك المساء ، وهى تفتح حقائبنا لتخرج ما بها :

- « أنا مدينة لك باعتذار آخر .. لم تكن معلوماتك دقيقة عن إبر الراديو .. ما كان فى مكتب المدير هو صمامات صناعية لجراحات القلب وهى باهظة الثمن بحق .. »

قلت لها :

- « كان المدير يتحدث عن إبر الراديو هذه منذ أسابيع ، وافترضت أنها هى الشيء الثمين الذى لم يخبر به أحداً ، لكنه أخبرنا اليوم أن هذه الصمامات وردت إلى الوحدة قبل الحادث ، واحتفظ بها فى مكتبه

لأنه خشي أن يسلمها للموظفين في المخزن .. إنه مازال قلقاً عصائياً يخاف كل أنواع المسئوليات المادية »

- « كان (مارسيل) يعرف - وخطر له أن سرقة بعض هذه الصمامات قد تمر على خير .. إن عدد من يعرفون لا يقل عن سبعة .. ويمكنه أن يفعلها دون أن يكتشف أمره .. »

ثم فكرت قليلاً وسألتني :

- « هل اعترف ؟ »

- « سيعترف .. إن العقيد سيعرف كيف يجعله يتكلم .. هذه هي أمتع فرصة سنحت له في الحياة .. »

- « ولو لم يتكلم ؟ »

- « إذن لن يحدث له شيء .. لا يمكن قبول هذه الروى التي رآها (سيماكوف) في أية محاكمة .. لكن العقيد يعتمد على الضغط النفسى .. على الرعب الذى سيحل بالرجل حين يصفون له الجريمة كأنما

رأوها .. سينهار سريعاً .. إن كل رجل شرطة يعرف
هذا جيداً .. »

ثم نظرت لها في حدة وقتت :

- « هذه آخر مرة تسينين فيها الظن بى .. »

- « آسفة .. كانت كل الشواهد ضدك .. بل كانت

ضدى ! »

ثم فكرت قليلاً وأضافت :

- « لكن لماذا يفعل بعض الناس هذا كله من أجل

المال ؟ »

- « لأنه رائع .. هذا هو كل شىء .. »

ثم شررت بذهنى وأنا أحلم بصوت مسموع :

- « إن المال يحل مشاكل كثيرة .. فكرى فى بيت

ذى حديقة فى أهدأ موضع من العالم .. فكرى فى

بحر لا يبعد إلا عشرين متراً .. فكرى فى نزهة فى

(سنغافورة) أو الهند أو البرازيل .. فكرى فى يخت

خاص وطائرة رياضية و .. فكرى فى أى شىء غير
هذا السجن الذى نعيش فيه .. إنتى »

ثم توقفت عن الكلام ..

كانت تنظر لى فى فلق ..

قلت بسرعة :

- « لكنه المال الحلال طبعًا .. هل تفهمين ؟ أتحدث

عن المال الحلال !!! »

★ ★ ★

فى مختبره يراجع (سيماكوف) أوراقه .. يقطب
جبينه ..

ينادى المترجمة التى هى سكرتيرته أيضًا ، ويقول
لها :

- « ليست كل إجابات ذلك الطبيب الشاب - (عبد

العزيز) - غبية كما تصورنا .. هل تذكرين ذلك

المفتاح والقلم وبعض الأشياء التى استعملناها فى

تجاربنا ؟ إنها تخص صديقاً لي من موسكو هو
(الكسيس فيتشينا) .. ما معنى (فيتشينا) في
الروسية ؟

نظرت له واتسعت عيناها وقد فهمت ما يرسم
إليه :

- «معاها .. معاها (لحم خنزير) !!»

وتبادلا النظرات .. كنت أتمنى أن أعرف ما حدث
بعدها ، لكن هذه الأشياء كلها خارج نطاق عملي في
(سافاري) .

تمت بحمد الله

www.dvd4arab.com

Hany3H

www.dvd4arab.com

بورو

سافاري

سافاري أن حبيبنا سافاري

لكن يظل حيا ولكن يظل غيبا

روايات
مصرية
للحبيب

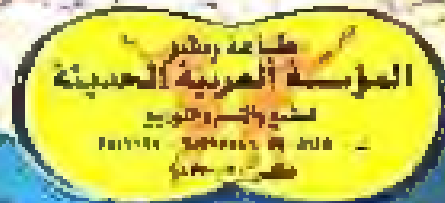
الآن .. نرجوكم الصمت

الآن نرجوكم الصمت .. إن التجربة التي
نحن بصدها معقدة حقاً ، تفسدها الكلمات
والتلميحات والضحكات الخافتة ..
الآن نرجوكم الصمت .. فما يحدث الآن
يحدد مصائر كثيرين من الأشخاص ..
الآن نرجوكم الصمت .. إنها حاسمة كانت
لدينا ثم تلاشت أو غطاها الصدا .. واليوم
نحن نعيد اكتشافها ..



د. احمد خالد توفيق

www.dvd4arab.com
Hany3H



التعريف في مصر ٢٠٠٠
وبالجمهورية العربية السورية
في سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
كليمنجارو